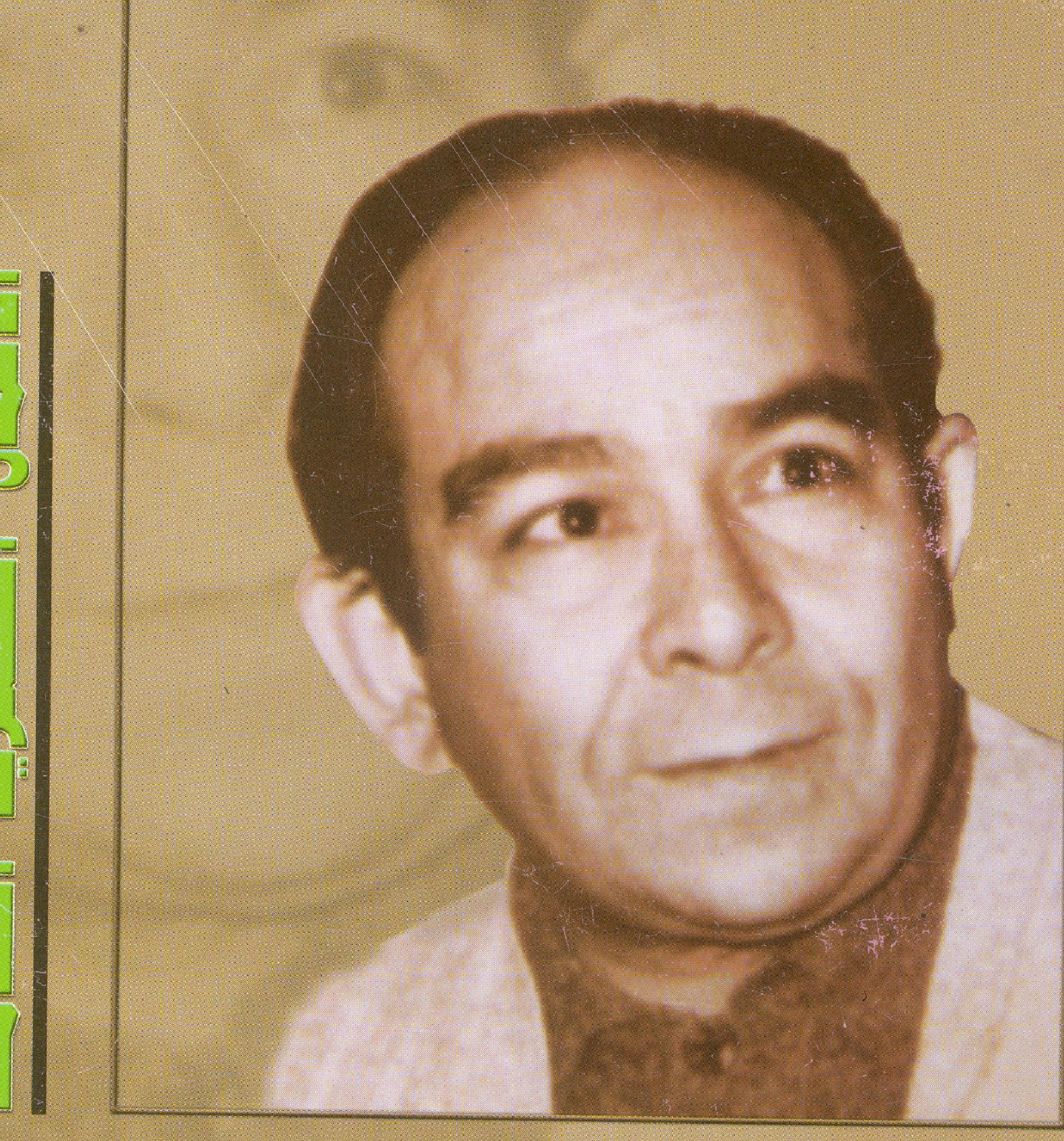
كامل أيوب

الأعمال الشعرية الكاملة



المجلس الأعلى للثقافة

إعداد : مجاهد عبد المنعم مجاهد

المجلس الأعلى للثقافة

كامل أيوب

الأعمال الشعرية الكاملة



٢٠٠٢

التعريف بالشاعر

كامل أيوب

١ - من مواليد ١٩٣٤ في إحدى قرى الغربية ، وهو من رواد الشعر الحديث ، وقد بدأ بنشر قصائده منذ عام ١٩٥٢م ، وطالما عرفته الندوات الأدبية يلقى شعره بروعة وقدرة فائقة .

٢ - صدر له ديوانه الأول (الطوفان والمدينة السمراء) عام ١٩٦٥م ، وقد أشبعه كبار النقاد والأدباء بالتعليق والدراسة والتحليل في الصحف المصرية والعربية والإذاعة والتليفزيون .

٣ - معظم قصائد الديوانين الثانى والثالث منشورة بالصحف والمجلات الأدبية وما أكثر ما كانت قصائده تؤدى رسالتها مشافهة وبالسماع فى الأمسيات الشعرية .

٤ - له كثير من البرامج والسهرات الشعرية بإذاعة البرنامج الثانى مثل برنامج أحمد شوقى أمير الشعراء ، والشاعر حافظ إبراهيم ، وأبى العلاء المعرى ، والشعر والنضال العربى ، والشعر العراقى الحديث .

٥ - اشترك فى ميادين النشاط الفكرى والأدبى والمواسم الثقافية بالهيئة العامة للكتاب التى كان يعمل بها ، وكذلك فى المسرح القومى للأطفال ، واستعين بخبراته فى اللجان العليا للنشر ، وفى اللجان العليا للمسرح وله إسهامات فى كل منهما .

٦ - ترجم كثيراً من الأشعار والقصص والدراسات فى عديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية .

٧ - أعد مسرحيات للأطفال مثل مسرحية (إخناتون) من إخراج نبيل الألفى ، ومسرحية (الطيب والشرير) إخراج جلال عبد القادر وحسين حامد وأوبريت (البحر) للتليفزيون ، كما أعد أشعاراً وأغنيات لبعض المسرحيات المعروضة مثل

مسرحية (على بابا كهرمانة شكرًا) ، و(عصفور الجنة) ، و(رحمة وأمير الغابة المسحورة) .

٨ - قام بتأليف عدد من قصص الأطفال مثل قصة (أغنية عصفور) ، و(هواية هالة الصغيرة) ، (العروسة الموسيقية) ، (رسالة إلى عام ٢١٠٠) ، (علبة الألوان) ، (قطتان وكرة صوف) .

٩ - توفى فى يونيه عام ١٩٩٥م .

١- الطوفان والمدينة السمراء

إهـــداء

إلى أبى وأمّى الطَّيِّبيْن ..

قلباهما يحتويان هذا العالم الكبير

إلى يمامتى دافئة العينين

ظِلّى وشملتى خلال رحلة المصير

إلى الصحاب يحرسون بالكفّين

مخافة الرياح نور شمعة صغير ..

فى عتمة المسير ..

طوّفت فى البستان ..

أردت أن تضم باقتى الريحان

فما وجدت أيها الأحباب غير عُشْبتين

وأن تضم سلتى فواكه الجنان

فما جمعت طول اليوم غير تمرتين ..

أتيت فارغ اليديْن ..

لكنىّ فى الفؤاد كلمتىْ حنان

يعانق الإنسان

كامل أيوب

تقديم

تمهيد :

قضية الأداء في الشعر العربي لم تزل تثار بحرارة في حياتنا الأدبية مع كل خطوة تخطوها التجربة الجديدة في الشعر ، ومن أقصى طرف المعارضة تتصاعد الصيحات خشنة وصارمة وشديدة التوتر في إنكارها للشعر الجديد شكلاً وموضوعًا ، متجاهلة النماذج الممثلة ، ومتلقفة من المحاولات المتهافتة فيه ما تدلّل به على أنه مجرد بدعة .. مصطنعة كانت أو مستجلبة فهي لا تمت بسبب إلى الجذور الثقافية للقصيدة العربية؛ على حين يدأب أصحاب الجديد في الطرف الآخر على توسيع دائرة تجربتهم وتعميقها وراء تحقيق بناء شعري محدد الأبعاد تتوضح من خلاله الصلة القوية بين الشكل المستحدث والمضمون العصري الذي يحتويه ، والحق أن الاتجاه إلى القصيدة الحديثة – منذ تبلور في المحاولات الأولى حتى اليوم – قد أثرى الوجدان العربي في مختلف البلاد بما قدمه شعراؤه الرواد وعدد قليل ممن تلوهم .. من التجارب الواعية الواعدة . إلى درجة كانت كفيلة بتأصيل هذا الاتجاه وتأكيده بما يخفّف حدة معارضته وبما يوائم بينه وبين الاتجاهات السابقة للقصيدة العربية باعتباره منتميًا إليها ومتطورًا عنها في الوقت نفسه ، لولا أن زحفت على حقله البكر طفيليات كثيرة تمثلها عشرات المحاولات شديدة التهافت لشعراء ارتبطوا بالصياغة الحديثة عن مجرد الاستهواء السطحي ، أو لآخرين وعوا حركة التجديد ولم يسعفهم الخلق ، أو – وهذه هي المسألة – لعابري سبيل أغراهم اليسر الظاهري في الشكل الجديد فأعملوا أقلامهم كيفما اتفق ، متوسلين لنشر ما يكتبون بفكرة أن هذا الشكل لم تتركز دعائمه بعد . وإذا كان ذلك قد نال خطأ من معنى التجديد وهدّد بتسييع معالمه ، إذ أضيفت

إلى حصاده تعسيسات الكلاسيكية المحفوظة وتهويسات الرومانسية المستنفدة ، وما هو أدهى من شطحات الخواطر التى نالت بها تفعيلات القصيدة الجيدة ؛ فإن أية مناقشة جادة لحقيقة الحركة الشعرية المعاصرة لابد وأن تُسقط من حسابها كل ما يقصر عن تمثيل هذه الحركة والامتداد بها .

حركة التاريخ :

يقف رافضو الأداء الحديث فى تحديدهم لماهية الشعر عند ديوان العرب القديم المتحقق فى شعر كبار الشعراء ، وتعتمد حاستهم فى التذوق والنقد على الأسس المنبثقة من مجالس وأسواق الأدباء والنقاد القدامى الذين أقاموا موازينهم النقدية داخل الأطر الأولى للتراث ، ومن ثَم فهم - أى الرافضون - لا يعطون أهمية ما لأثر التاريخ وأثر التقدم الحضارى والإنسانى ، عازلين الأدب بمحتواه ووسائله عن التغيُّرات الناشئة فى الواقع وعن الظواهر النامية فيه والمؤثرة بالضرورة فى الفن ؛ لذا فأنهم قد واجهوا الانتاج الجديد بالسلبية أولاً ثم بالتهكم الذى تدرَّج إلى هجوم تجاوز عند البعض أخيراً محاولة الاقناع إلى محاولة القسر بدعوى الغيرة على تراثنا العربى ، منحرفين للأسف - وقد يكون منهم شعراء تقليديون موهوبون حقًا أو حفاظ مجيدون للشواهد والروايات القديمة - عن التقدير السليم للتراث ، ذلك أنهم يضيِّقون أفقه بتصوُّرهم إياه شكلاً جامداً نهائيًا لا يستجيب لعوامل التطور . مقيمين على هذا التصور زعمهم أن القصيدة التى تخرج على القالب المتعارف عله أو على القيم الجمالية المتوارثة التى اختلفت أكبر الاحتفال بالمادة اللفظية والتركيبية ؛ هى لون من الضعف والانحلال والفرار من التزامات الشعر الأساسية . إن العلة الكامنة وراء هذا النظر الشكلى يعوزها بلا ريب الخروج من المعارف المغلقة إلى حيث الالتقاء بشتى المعارف والثقافات العصرية ، حيث يُتلقى الشعر باعتباره أحد الفنون الجميلة العالمية المعبِّرة فى جوهرها عن الإنسان ، والعاكسة لديناميته خلال العصور والبيئات المختلفة ...

وحيث تُلتمس المؤثرات المادية والنفسية التى حددت قوالبه ومساره هنا وهناك ، والظروف التاريخية التى تحكّمت فى بنائه وصوره وسائر أدواته ، ومن نقطة البدء هذه ، ومن تقصّى مراحل تطور الحياة العربية وراء تفسير سليم لعناصرها فى ضوء النظر العلمى .. يمكن التوصل إلى الكشف عن جذور ومقومات الطبيعة العربية حيث يتوضح بالتالى معنى النمو التكنيكى الذى تحقق لدينا أخيرًا فى مختلف الفنون وفى الشعر كواحد منها، الأمر الذى تبدو معه حركة التجديد الأخيرة ذات دلالات فاعلة ومبشرة بامتداد قامتنا وثراء رؤيتنا للفن والحياة والإنسان .

بروز الرومانسية :

لبث الشعر العربى دائمًا يبحث عن الشكل الملائم له خلال عصوره المتوالية حتى تكسرت قوالبه الموروثة كما هو معروف فى المنظومات الأندلسية لتستوعب صور الحياة العقلية والحضارية الجديدة ؛ كما دأب الشاعر العربى على الاستجابة لما يجدُّ فى عصره من المؤثرات والتفاعلات ناقلاً ذلك كله إلى فئة مع التزامه الاتباعى المنتقل عبر تاريخ الأدب العربى بالتقاليد الرئيسية فى القصيدة ، حتى قيام الحركة الرومانسية القريبة التى هى بمثابة أول نقطة تحوُّل كيفى وشكلى جذرى فى الشعر العربى . كان الوجدان العربى قد اهتز لتود مع انطلاقه اليقظة التى أحدثها البارودى – شاعر الثورة العرابية – بأحياء نبرة الحماسة العربية بعد همود طويل جف معه نبع الشعر وعاقت إمكانية فيضه عشرات المؤثرات المباشرة وغير المباشرة . وعادت القصيدة العربية تنبض بالعنفوان من جديد وقد ارتدت ثوبها القشيب الذى عرفته فى عهود الازدهار السابقة ، بالغةً غاية تبرجها عند شوقى وغيره ممن تشربوا نتاج العصور الذهبية للأدب العربى وراحوا يفتنُّون فى تمثله ومحاكاته وتأكيده ، مضيفين إلى تراثنا الشعرى أعمالاً زاخرة توخوا فيها غالبًا عهود الشعر العربى وأغراضه المعروفة والوحدة

المتوارثة عن القصيدة القديمة (ينظر البارودى - شوقى - حافظ - أحمد محرم - وشعراء مدرستهم) ، ولما كانت المدنية إذ ذاك تعمل عملها فى إرساء قواعد حياتية واجتماعية جديدة فى المجتمع العربى الذى كانت نوافذه قد انفتحت - بفعل عوامل تاريخية دافعة - على شتى ألوان الحضارة والأفكار والثقافات الجديدة ، فقد برزت الحركة الرومانسية معبرة عن الروح الفردية للطبقة المتوسطة كرد فعل لتفتُّح العصر واتصاله بالآداب والفنون العالمية الأخرى ، على يد العقاد والمازنى وشكرى ومطران الدعاة النظريين لها ، وكما أن ظواهر المدنية فى ذلك الوقت لم تكن تحظى بكثير من التقبل فى بداية الأمر خلال اضطراعها العنيف مع التقاليد والعرف المتوارث ؛ فقد ووجِه هؤلاء بموجات نقد واتهام ممن لم يستسيغوا حينئذ هذا اللون من الشعر الذى يبشرون به وخاصة لأنهم قصروا فيما أنتجوه من شعرهم عن تمثيل نظريتهم ، إذ جاءت معظم محاولاتهم مصنوعة ومتأرجحة بين الأداء التقليدى والأداء الذاتى الذى لم يتبلور إلا فيما بعد على أيدى شعراء ذاتيِّين نجحوا بإنتاجهم فى تدعيم الحركة الجديدة وإبراز آفاقها وأوجه الاختلاف الدقيقة بينها وبين التقليدية السابقة يُنظر (على طه - ناجى - محمود حسن إسماعيل - مجموعة شعراء أبولو على سبيل المثال) ، ولقد كان المهجريون بحق من طليعة الذاتيين المجددين عن أصالة وتفرد بل لقد سجَّلوا سبقهم إلى التحرر الجرئ من الدائرة النهجية مستجيبين لخبراتهم الجديدة فى تنوق الآداب الأجنبية التى احتلفوا بها ، ومتأثرين من جانب آخر بكل ما صادفوه من مظاهر الحضارة ، وبتجربتهم الوجدانية مع الهجرة والحنين والخوف والأمل ، وفى مستوى القمة منهم كان جبران ، ونعيمة ، وأبو ماضى ، ونسيب عريضة ، وكثيرون غيرهم ممن ساعدوا بإنتاجهم مع سائر شعراء الذاتية على تحريك الوجدان العربى إلى حيث يَنشُد الحسّ الجمالى فيه إشباعه ، خارج الانبهار القديم بتحكم الشاعر فى مادته اللفظية وبقدرته على حشد المنتخبات الذهنية وسائر أصباغ البيان والبديع .

وضوح الخصائص :

شيئًا فشيئًا اتضحت سمات القصيدة الرومانسية كاشفة مقابلاتها فى القصيدة الكلاسيكية ، خلال مراحل نضجها منذ المحاولات الأولى لمنظِّريها حتى التجارب المكتملة لدى شعرائها الممثلين ، وأصبح من اليسير على متنوقى الشعر وممارسيه أن يضعوا أيديهم على الخصائص المميزة لكل منهما ، تخطَّت الرومانسية فى ثورتها ضد الحدود التقليدية الثابتة أغراض الشعر المتوارثة ، متخذة موضوعها بحرية من الحياة الذاتية للشاعر حيث أصبح للقصيدة عنوانها الدال بدلاً من قال فى الغزل وقال فى الزهد إلى آخر ذلك ، كما تحررت من الالتزام الاتباعى بالعمود الشعرى المقفل والقافية المطَّردة ، مستخدمة البحر ومجزوءه والمقاطع متغيرة القوافى ، استجابة للتكوين العاطفى الجديد ولمراحل المعاناة وعدم الاستقرار الروحى ، وبعد تصيد مفردات اللغة المخزونة ومحسناتها نسجاً على المنوال القديم ، جنحت هذه إلى اللفظ المستعذب ذى الجرس الموسيقى ، جاهدة - فى توخيها دقة التعبير عن الوجدان الخاص - أن تستحدث المشتقات من الأصول الفصحى بل إن تضيف أحيانًا كلمات جديدة تمامًا على العربية ، ثم بالنسبة للصورة الفنية .. حلَّت محل الصورة التقريرية المباشرة المستمدة من المدركات العامة حول الكون والحياة ، صور مهموسة مطبوعة بالخيال الفردى وبالرؤية الفردية ، كذلك بدلاً من تحقيق وحدة المعنى فى البيت الواحد والجرى على الاستهلال بالنسيب أو بالبكاء على الأطلال ومخاطبة الصاحبين شأن الشعراء الأوائل ، أصبح المعنى يتجاوز حدود البيت إلى المقطع إن لم يكن إلى القصيدة بأكملها وفقاً لما تمليه حركة الفكرة وصدق الانفعال والعمق الوجدانى فى التجربة المتناولة .

جملة القول - والمجال هنا لا يتسع من التفصيل إذ الحديث معاد - أن الجديد توضحت معالمه بإزاء القديم مؤكدة حدوث التلاؤم بينه وبين العصر ، وفى حين أن

الشخصية التقليدية للشاعر كانت شخصية محافل تمدح وتهجو وتصوغ الحكمة وتُرضي رغبتها في التفوق عن طريق التشبه بالقدامى فيما استحسنوه أو استهجنوه ، مستدعية في أذهان الناس مقروءهم ومحفوظهم من الشعر القديم ومن القيم القديمة ومن مظاهر ثراء اللغة بالمترادفات وغيرها ؛ ظهرت شخصية الشاعر الرومانسي فردية تستشعر العزلة والغربة وتستلهم من ذاتها أكثر مما تستلهم من الناس ، بل يحتدم في داخلها الصراع أبدًا بين المتعارف عليه من القواعد بعامة وبين موقفها الذاتي المغاير . وأيًا كانت الدلالات الثورية التي تضمنتها الحركة الرومانسية في بلادنا وأيًا كان مسارها فقد بشَّرت بارتياد الشاعر العربي آفاقًا جديدة تربطه بالعالم من حوله . وكان لابد من أن تنبثق قيمٌ ومعايير جديدة في التذوق والنقد لا تقف عند موازين الجرجاني والعسكري وغيرهما ، وإنما تتجاوزها متلمسة عناصر التأثير الجديدة في القصيدة الرومانسية دون أن يقلل من شأنها الخلو من فخامة المتنبي ومن بديعيات أبي تمام ، أو تغير القافية ، أو الوحدة الموضوعية غير المألوفة في مطولات العرب وقصارهم ، على أنه من الضروري إغفال كل تعصُّب نشأ عن قيام هذه الحركة سواء للقديم باعتبارها حركة دخيلة ، أو للجديد باتهام التراث العربي كله قبلها ، فهي في حقيقتها امتداد لهذا التراث الذي قد زخر بقوته في عصوره الأولى إلى جانب الآداب القديمة التي رافقته والذي يهدي الاستقراء المنصف له في سائر عصوره الأخرى إلى الكشف عن طاقات فردية متطورة فيه لم تصل – لظروف تاريخية موضوعية – إلى الامتداد والاكتمال .

العصر والفن :

يتحرك الإنسان العربي اليوم بعنوانه على أرض صلبة كانت إلى عهد قريب تهدد بخيانته والاهتزاز به ، مستشرفًا آفاق العالم المعاصر ، ومحاولاً إيقاظ كل طاقاته الكامنة والسير بها إلى حيث يكون له دوره الحضاري الإيجابي ، بعد أن فرضت عليه

عزلة السنين الطويلة أن يقبع داخل أسوارها سلبيًا ، بلا كيان ، يتشبث بالنظر إلى الوراء لأنه لا شيء أمامه يشده ، كان الاستعمار الكريه ينخر صلابة الأرض ويطوق إنسانها بأذرع تشل حركته وتجسد وجوده ، حتى تفجَّرت فيه صنوف الكبت وألوان الصراع الداخلى التى ظلت تعذبه أقوى فأقوى إلى أن انطلقت أخيراً ، ملقية عنه سلبيته وعدميته خاصة فى تفتحاته بعد الحرب العالمية الثانية . وخاض الإنسان العربى أكثر من معركة مع الاستعمار وأكثر من معرمة مع عوامل تخلُّفه ومعوقات وجوده فى الداخل ، وأمدَّه النصر بمعنى جديد لحياته يزداد تبيُّنًا له يومًا بعد يوم مع خطواته الباقية إلى التحرر الكامل ، وفى العالم - فى بقاع متعددة منه - تقوم الحركات التحررية نفسها وتنطلق قوى الوعى نفسها ، ويزدهر الوجود الإنسانى متكشفًا إمكاناته وتطلعاته ومستعينًا بالعلم وبالتاريخ فى تفسيره لشتى التجارب والظواهر الفيزيقية والاجتماعية الخاصة المحيطة به ، ومع الأبعاد الجديدة لإنسان العصر فى موقفه من العالم الحديث ومن مختلف الأيديولوجيات والأنظمة المتصارعة فيه إلى الدرجة المنذرة أحيانًا بنشوب حرب أخرى ساحقة ، عمد الفن إلى ربط مضمونه بالإنسان مع الاحتفاظ بطابعه القومى فى تجاربه الحية المباشرة ، والفنون العربية بمختلف أنواعها تتحرك إلى جانب الإنسان العربى اليوم نحو البناء والتجدد والمشاركة المصيرية مع العالم ، متأثرة بالاتجاه الجديد للشعوب إلى الاشتراكية ، ومتوخية تطويع قالبها ومضمونها لمسايرة متطلبات هذا العصر وقضاياه . من هنا يمكن القاء مزيد من الضوء على حركة التجديد الأخيرة فى الشعر العربى باعتبارها امتداداً للتراث لا تألُّبًا عليه أو انفصالاً عنه . كانت الحركة الرومانسية استجابة لظروف عصرها كما سلف القول ، مضيفة مذاقها الجديد إلى الإنتاج الكلاسيكى الذى لم يكن متلائمًا وقتئذ مع اكتشاف الفرد ذاته ومع استغراقه فى التعبير عن وجدانه الخاص ، وإذ احتشد

الوجود العربيُّ ظافراً بواقعه لتعويض ما فاته في عزلته وللاحقة خطى التطوُّر الإنساني ، فقد أمن الاصطدام بانحرافات الرومانسية الموغلة في الذات حتى اللاشعور أحيانًا هربًا من الواقع الحسي أو تعاليًا عليه ، كالرمزية الجامدة والسريالية اللتين أتاح لهما تعمير الرومانسية في أوروبا أن تظهرا بعض الوقت ، وهو في طفرته هذه التي تتطلب فنّاً متفاعلاً من الواقع يستوعب حركة الحياة ويوقظ وجدان الإنسان ، قد كشف بدوره عن عدم تلاؤم الرومانسية مع احتياجاته الراهنة . وفي الوقت نفسه كانت هي قد استنفدت طاقاتها – بسرعة تطور الحياة ذاتها – في نماذجها الجيدة الرائدة ، حتى أصبح الصف الأخير من شعرائها يكرر نغماتها الأولى في اتباعيّة تفقده رنة الصدق ؛ تمامًا مثلما حدث لدى التقليديِّين الذين جروْا في غبار محاولات الإبداع الأصيلة خلال تاريخ الكلاسيكية الطويل . كان لابد إذن من حدوث طفرة في الشعر العربي تنهض به إلى مستوى الواقع الجديد ، وظهرت حركة التجديد الأخيرة منطلقة من هذا الواقع ومتجهة إليه ، جاعلة التفعيلة الواحدة وحدتها الموسيقية ومستخدمة القافية المتراوحة ، بدلاً من العمودية والنظام السابق للتقفية ، نازعة كحركة متطورة إلى التوفيق بين انتمائها للتراث وبين الاستفادة بشتى المعارف الجديدة المواكبة للتقدم التكنولوجي في العالم الحديث .

الشكل الجديد :

كما يقتضي النظر الصحيح إلى حصاد الشعر العربي خلال مراحل الخمول والتألق ، العمل على استقراء تاريخه وخصائصه الجمالية ، فإنه يلزم لكي يتم التذوق السليم لثمار الشكل الجديد أن يرافقه تبيُّن لضرورته التاريخية ولجمالياته ، ولا ريب أن عقبة عدم التذوق قد لعبت دورها في استغراب الشعر الجديد وإنكاره لدى عدد من المتلقِّين في أول العهد به الأمر الذي حدث من قبل في أول العهد بالرومانسية وعلى

المدى الزمنى البعيد فى أول العهد بكل جديد فى الشعر أو غيره من ارتيادات الإنسان سواء فى الفن أو فى الحياة ، وفى صدد إلقاء مزيد من الضوء على حركة التجديد الأخيرة فى الشعر العربى تتحتم مناقشة بعض ما يثيره الصراع بين القديم والجديد. قبل أية محاولة لتقويم ما قدمته وما تقدمه هذه الحركة فى واقعنا الأدبى ، من ذلك تصوُّر أن الشاعر الجديد فى استخدامه للتفعيلة الواحدة وفى إهماله للقافية أو إيرادها متراوحة ، أنما يهرب أو يتخفف من صعوبات الالتزام بعمود الشعر وقافيته المطُردة ، غافلاً أو متغافلاً عن القيمة الغنائية للقصيدة العربية فى نظامها القديم . هذا الظن الذى يقوم على تقدير التراث كمجرد مادة لفظية وقوالب شكلية لا كابداع بشرى متجدد مع تجدُّد الوجدان العربى وتطلعاته وامتداداته - لا يدرك حيوية العلاقة الحميمة بين الشكل والمحتوى ويقع فى هوة عبادة الشكل ، لقد عمد الشاعر الجديد إلى التغيير الأخير فى نظام القصيدة المتوارث لا لذاته ، بل بهدف تحقيق بناء شعرى جديد تماماً بمنهجه فى تنمية صوره وأفكاره وحواره وحركة انفعالاته ، من أجل توصيل المحتوى الأيديولوچى الذى هو رؤيا اجتماعية متكاملة ، والذى يتخطى غالبًا الأشكال المستفدة مصطنعًا لنفسه أشكالاً جديدة أكثر تناسبًا معه . وتتوافر غنائية القصيدة الجديدة باحتفاظها بوزن التفعيلة أو مكررها دون التقيد بعدد معين منها ، وبتنوع قافيتها ، وبحساسية الشاعر أثناء عملية الخلق فى استغلال الجرس الموسيقى لألفاظه ، على نحو لا تقل معه ايقاعًا عن القصيدة الكلاسيكية أو الرومانسية . وإن غايرت وتأبتهما المتفاوتة بتجديد جملتها الموسيقية واختلاف شحناتها . إن شاعر الشكل الجديد يرتبط به عن اقتناع بتلاؤمه مع متطلبات الاتجاه العصرى إلى الواقع ؛ ومعظم ممثلى حركة التجديد حتى اليوم قد عاشوا مرحلة الشاعر التقليدى أو الذاتى أو هما معًا عن تمكن واضح من صياغتها المحكمة قبل مسايرتهم للتجربة الجديدة ، ومما يستلزم المناقشة

ما يذهب إليه البعض عن خطأ أو غرض من أن حركة الشكل الجديد مدانة بالتبعية لأدب الغرب ومن ثم فهى دخيلة على الذوق العربى ، أو مدانة بخدمتها مذهبًا سياسيًا بعينه فى المنطقة العربية مما يجعلها بدعة مذهبية مصطنعة . وهؤلاء - إن لم يثبت نزوعهم عن الهوى - يحكمون على أنفسهم بالعقم فى نظرتهم إلى الأدب العربى والأدب المغربى على السواء ، أذ ينعزلون ثقافيًا عن مفهوم الفن بمعناه الإنسانى المتسع الذى يصل بين فنون العالم والذى يقتضى وعيًا خاصًا بما يعمل التاريخ العلمى للفن على إرسائه من القيم الجمالية . وهم لا يعون أيضًا أن الأدب الغربى -- ككل أدب - ملىء بالتغيرات والتطورات والتطورات ويحتدم فى شعره الصراع نفسه بين التقليدى والمحدث والجديد (ينظر فى فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا وأمريكا على الترتيب بريڤيير - إليوت - جونتر آيش - انجاريتى - أراپاوند) ، وأن وجهة الفن ووسائله وقواعده الجمالية مستقلة عن وجهة ووسائل وقيم الفكر السياسى ، إذ يتعمق الفنان خلفيات الظواهر ليفسرها فى حين يتعامل السياسى مع آثارها وانعكاساتها فى الواقع ليحكمها . إن حركة التجديد تستمد جذورها النفسية والحضارية من التربة العربية ومن التكوين النفسى للأمة العربية منذ عصورها الأولى إلى اليوم ، وهى مرتبطة بدور قيادى إنسانى شامل لا يتفق لها القيام به مع التبعية الآلية لأدب ما أو لمذهب سياسى ما ، على أن من مسائل هذه المناقشة أيضًا ما ينزلق إليه أحيانًا أصحاب الجديد أنفسهم من آفات الفجاجة كأن يبدءوا فى قصائدهم من الفكرة التقريرية والاستغراق الذاتى أو أن يحصروا فهمهم للواقعية فى مجرد النقل الحز فى الواقع غير ذلك مما لا يتأتى الآن رصدر وتقصيه . والمحاولات الكثيرة التى تستخدم الشكل الجديد فى تقديم أفكار تقريرية خطابية أو تهويسات ذاتية غنائية لا تضيف إلى نتاج حركة التجديد سوى أعمال كلاسيكية أو رومانسية مُقنَّعة ، كما أن الفهم السليم

للواقعية ينقضى إلى أن جزئيات الواقع فى الأثر الفنى لا يمكن أن تظهر جماليتها بمثابة أشياء فى ذاتها بل تحتاج إلى التغلغل فيها بالمعرفة الإنسانية لا بالحواس المجردة وإلى تكثيفها وتنسيقها بأساليب الفن لكى تكتسب دلالاتها خارج الخواص المادية ، ولكى تشع بهذه الدلالات على المستوى الخاص وعلى المستوى العام إلى ما بعد عصرها . إن الشعر الجديد الذى لا يمكن أن يكون مجرد تغيير لشكل القصيدة الخارجي ، هو رؤية جديدة لا تتوسل للوصول بالصورة الذهنية أو الوجدانية أو الفوتوغرافية ، وأنما تصل من خلال الصورة الحية النابضة بقوة الواقع فى تدفقه وجريانه .

والآن ..

لا ينتهى الحديث قبل كلمات أخيرة موجزة ، أن حركة الشعر الجديد أنطلاقة باهرة لوجداننا المرتكز على التراث العربى منذ أقدم أرجوزة ، والتجاوب فى الوقت نفسه مع كل التراث البشرى الذى أتاح له العصر أن يستوعب مختلف خبراته ، فهى فى جوهرها امتدادٌ للقديم ولكن بالرؤيا المعاصرة للعالم ومساراته . إن اتجاه الإنسان المعاصر إلى العالم بحواسه الواعية بعيداً عن الميتافيزيقيَّة وعن المثاليات المطلقة يؤكد ضرورة احتضانه للجديد ، ويصبح من الضرورى بالتالى أن تتغير الدلالات التى يدخلها الفن فى معطياته ليتسع بها حقل ترس الإنسان واقتداره على الواقع ، على أنه لابد دائمًا فى مجتمع يتطور ، من الزمن والدرس وعمليات التعرف وتجارب الخطأ والصواب قبل اكتشاب طاقاته النامية بحس جديد للحياة وبمفهوم جديد للمكان والزمان والحياة اليومية ، الأمر الذى يتأتّى معه انتهاء أزمة عدم تبين الشعر الجديد تمامًا بالحل الموضوعى .. حيث تثار قضاياه الإيجابية فى الإبداع والتذوق ، وحيث تبحث حالات التقهقر بالشكل الجديد إلى الكلاسيكية أو الرومانسية بانحرافاتها – مثلاً – على ضوء الآثار المترتبة على طول عهدنا بالأولى وعلى قصر عهدنا بالثانية ، وإلى

أن تنتقل حركة التجديد من مهمة تحقيق الوجود إلى مهمة تحقيق البقاء والاستمرار ، فإن على النقد البناء أن يحتشد بكل ما يسعه من الحرص لتتبع تجارب هذه الحركة بالدراسة النظرية والتطبيقية وبعمليات التصفية والتكثيف ورصد الظواهر ؛ لحصر ما يمثلها وعزل ما يشوه معالمها الحقيقية ؛ وفى الوقت نفسه لتمييز قيمها الجديدة من القيم التى ينبغى أن يظل عليها تنوق النماذج الأصيلة للكلاسيكية والرومانسية وفقًا للعوامل التى حددت مجرى التعبير فى كلٍّ منهما ، والشاعر هو الآخر مطالبٌ باستيعاب أكبر قدر ممكن من الثقافات والفنون والنظريات القديمة إلى جانب الجديد منها ليكون أكثر التصاقًا بالتجربة البشرية ، التى تفيد من هومر والخيام وشكسبير وطاغور إفادتها من (زهير والمعرى وشوقى وجبران) ، إلى آخر محاولات التمثل ؛ والتى من المهم للغاية أن تنعكس فى تجاربه الفنية الخاصة بصورة مشاركة صادقة للإنسان. والشعر الجديد بعد كل ما تقدم عنه يمهد السبيل للملحمة ، وللمسرحية الشعرية ، ولغيرهما من الفتوحات ، إذ يمكن تطويعه فنيًا لامتصاص التراث الشعبى وللتلاؤم مع مقتضيات المسرح ، وإن يكن تحقيق مثل هذه الآثار – بعيدًا عن الوقوع فى هوة الانفصال بين الشكل والمضمون لمصلحة أحدهما على حساب الآخر – لا يزال من أحلام هذه المرحلة .

والآن ، أضع بين يدى القارئ قصائد هذا الديوان ، مجرد محاولة لعرض بعض التجارب فى طريق الجديد ، وإن كنت أعتقد بحق أننى ما بدأت بعد .

نـــداء الحـــب

ترنيمة الشهيد

الآنَ باسْم كــرامـــتى وإبائى ... أفنى لتـــخْلد أمَّــتى بفنَائى
الآن أُوفي الأرضَ بْعضَ عطَائهـــا ... وأخطُّ صَـفْحَـة عـزِّها بدمَـائى
الآن أصـعـد للسَّمـاء بجوْهَرِى ... فَـيْـفـرحُ الأوغـادُ بالأشْــلاء
والله مــا قـتلُوا الْقـتـيـلَ وإنَّمـا ... أحـيـواْ عَلَيْـهم ثوْرة الأحْـيـاء
فـيرقُبـوا نار الْقلُوبِ تَشبُّ فى ... نيـر الطُّغـاة سـريعـةَ الإفْضَـاء
قَـدْ بيَّتـوا الدَّاءَ الْعـيـاءَ لرمْـينَا ... فليـنظروا فـيـمن سُـمـومُ الدَّاء
مـــا راح منا واحـــدٌ إلاَّ وقَـــدْ ... ثـأرتْ يداهُ لـذاهـب وَجـــائـى
إِن متُّ قَـبْلَ النَّصْــر لستُ بنادمٍ ... فَــقَــدْ تركْـتُ لنيْـله زُمـــلائى

* * *

أمَّــــاه لا تـبكى عـلىَّ ويا أبـى ... جَـفِّفْ دُمـوعَكَ وابتـهجْ بقـضـائى
مـا متُّ وَخْدى بل مع الأحْـرار فى ... يوْم الْجـهـاد وسَـاحـة الشّـهـداء
جنِّـدْ بقـيَّـــة إخْـــوتى فـلعلَّـهم ... يبْـلون فى المـيــدان مــثل بـلائى
مـا مـاتَ مَنْ عـرف الـنِّضَـال ونافقٌ ... مَنْ عـاشَ فى الأغْـلال دونَ حَـيـاء
يا مصْـرُ فيـك من الأُسُود كـواسـرٌ ... تمضى لبـغـيـتـهـا بـكلٍّ مَـضَـاء
أُسَـدٌ إذا مـــا أنشـبت أظْفَــارَهَا ... ظَفَــرَتْ بكُلِّ مُـحـــالة عنقـــاء
لا تَرْهبُ الـنيـران أوْ ضـوْضَـاءها ... وتَسـيـرُ فى النِّيران والضُّـوْضَاءِ

يا مصرُ أمضى الآن غير مؤرَّقٍ فبنُو حمَاك الرابضون ورائى
الموتُ دون ثراكِ آخرُ رحْلتى ومن الرَّدى فى الحربِ خير رداءِ

* * *

يا للحقيقة منْك كنت وما أنا إلاَّ صنيعةُ أرضك الخضْراءِ
واليومَ ألقى الموتَ باسْمكِ فاخلدِى يا مصرُ عاليةً على الجوزاءِ

١٩٥٠

نــــــداء الحب

دعـانا شاطـىء الأحلامِ هلْ تأتينَ يـا سَمْـرا ؟
تعـالىْ فى شَـبابِ اللَّيل نجـعل عُـمْـرنا عُمْـرا
نُهَـدْهد شـوْقنا المحـروم كىْ لا يسأمَ الـصبّْـرا
نعـــانقُ حلْمنا الـوَرْدِى عند الموْجــة السَّكْرى
تعـالـىْ فى شـبـاب اللـيل نرْعَى حُـبَّنـا البِكْرَا

* * *

طَوَيْنَا الأمْس يـا سـمـراء نَجْـرَعُ دمــعنا مُـرّاً
عـرفْنا اللَّوْعـة الهـوْجاءَ ملْءَ كـيـاننا تَضْـرَى
أطلْنا الصَّـمْـتَ لا جَـهْـرًا تهـامسنا ولا سِـرّاً
ومـرَّ العـــامُ تلْو العـام لا لُقْـــيـا ولا ذكـرى !
جـراحُ الحبِّ يا سـمـراء مـثـلُ الحبِّ لا تَبْـرا
فـمـاذا بعْــد وقْـدِ النَّارِ فى أنْفَـاسِـنَا الحـرَّى
وهذا شَاطِىء الأحلام لو جئناهُ ما ضَرَّا !تعالَىْ
ننقُشُ اسْـــمَـيْنا على أشـــجـاره الخـضــرا
ونَعبـرُ ذلك الوادى ونـقْـفـزُ ذلكَ الصَّـخْـرَا
ونعلنُ لِـلْورى أنَّا .. وإنْ لَمْ نُضْــمـرِ الأمْــرَا

غزَانا الحبُّ فى صُبْحٍ وكنّا الظُّهْرَ فى الأسْرى
تعالى نرسم العشَّ الجميلَ ونغرِس الزَّهْرَا
ونرسمُ مُلعبَ الأطفَالِ فى أيَّامنا الغَراًّ
فقيرانِ .. ولكنَّ الهوَى لا يَرْهَبُ الفَقْرا
صغيرانِ .. ولكنَّا نُسَطِّرُ قِصَّةً كُبْرى

* * *

سيُخْفِى اللَّيلُ مسْحُورينِ هَامَا تحتهُ سحْرَا
ويصفُو حلم عُصْفُورَيْنِ عَاشَا فى القَذَى دهْرا
هنالك تصْبحُ الدُّنيا لنا للحبِّ يا سمْرَا
هنالك ندفن الماضى ونُولَدُ مرَّةً أُخْرى

١٩٥١

انـطـــــلاق

أيُّ مـعنـى لوجُـودي أي مـعنـى لوجُـودِي ؟
وأنا أعنُـو لأعــدائي وأكْـبُــو في قُـيــودِي
أجْـرَعُ الذِّلَّـة في دَارِي وأحيـا كـالعـبـيـدِ
آكل الجــوعَ وللسَّــادةِ زادي وَحَـصـيــدِي
أكـذا أزْحفُ في الأغلال مـحمـوم النَّشيـدِ ؟
والرَّدَى يرقصُ من حولـي على وقْع الحديد !

* * *

لم يُبــالُوا آهتي الحـيْـرى ومـشْـبـوبَ أنيني
وتـغنَّـوْا بـبُـكَائـي وتـلـهَّــــوْا بـجنُونِـي
وأنا في عــتْـمـة الجـدْرانِ مـخـذول الحنينِ
أسكبُ القلب دمُـوعًا راعـشـاتٍ في جفُـوني
عـاجـزًا أمْــسح في يأسٍ تُرابي عن جـبـيني
تافِـهًـا ألعق جُــرحَ الرُّوحِ في رُعبٍ حـزينِ

* * *

كيف أجْنِى وأنا طاوٍ لغيْرى قمح حَقلى ؟
كيف أقْضى كلَّ أيَّامى ثقيلات بحمْلى ؟
إننى أسمع صوْتَ النَّارِ فى جَنْبىَّ تغلى
هى ذِى تحرقُ خوفى هى َذى تكْسر غِلِّى
وثب المارد فى نفسى على العبْد الأشَلِّ
لم يعدْ يتَّسع القُمْقُم لِى والكوْنُ حولِى

* * *

يا ابْن أمِّى قم فساعدْنى على قيْدِى وقيدك
جهدِى المستَضْعَفُ المهزول قد يقْوى بجهدِكْ
قم معى نحضنْ شعاع الشمْس وانفُضْ ترْب لحْدكْ
قم نشُقُّ الأرْضَ لا نخْشى على كدِّى وكدِّك
ثم أجنى قَطفَ ما أزرعُ ولْتَهْنَأ بحصْدكْ
أنت حرٌّ واسْأَل الجرح الذى يَضْوِى بزَنْدِك

* * *

أيها الظالم بعد الآن لن تملك ظُلْمى
جُرْتَ فى غَفْوَةِ أمسى فَلْتَذُق صحْوة يوْمى
سترى كيف تِفرٌّ اليوم مِنْ غضْبة حِلمى

إِخـوتى ثارُوا وهاهم أقـبلوا كـالسَّيْل يَهْـمى
وستَــشْـفى طَلْعـةُ الـفـجـرِ عَلَى اللَّـيل المُلمِّ
دمَ مـــقـــتـــولٍ وأحـــزانَ أبٍ شَـــيخٍ وأُمِّ

١٩٥١

ابنة الخال

يا ابنة الخال عُدت أحملُ دائى بين جَنْبيَّ مُجْهشًا بالبكاءِ

مُتْعَبَ الخَطْو كالمسافرِ إن طال عليه السُّرى بقَفْرٍ عَراءِ

مُوحِشَ الرُّوح كالّذى خانه النومُ وَحيدًا فى ليْلةٍ من شتاءِ

حينما ضمَّنى الطَّريقُ تلفَّتُّ إلى بابك الصَّغير ورائى

وتحسَّستُ سكَّتى نحو دارِى نَحْوَ صمْتى وَوحْدتى وَاكْتوائى

صرت شيءٌ كالزّهو يسطع فى وَجْهى وشىءٌ كالحزْن يغزُو دمائى

حَفْنَةٌ من شذاكِ فوْق ردائِى ولَظًى من هواكِ تحت ردائِى

* * *

طفْلَتِى فى الماءِ إن خَيّم الليلُ ورجَّعْت أغْنيات المساءِ

فاذكرى أنَّنى على القرب أسْوانَ أنادى وما سوى أصْدائى

لو تسمَّعْتِنى إذا هجَعَ الكَوْنُ سَمِعْت أبْتِهالَتى ودُعائى

ولَرَاعَتْكِ أنَّةٌ تعطفُ الصَّخر وآهٌ تُذيبُ من أحْشائى

إذْ أناغى أطيافَ حسْنك نشْوانَ وأُبدى صبابَتى وشقائى

وأرِى اللَّيل ما كَتمْتُ نهارى من تباريحَ جمَّةٍ خرْساءِ

كم تعذَّبت فى هواكِ وعانيتُ فداريْتُ لوْعتى فى الخفاءِ

وتظاهرْت بالجُمود وكُلِّي زفرات تصعَّدتْ في اشتهاء
آه لو تعلمين ما تحت جِدِّي ووقاري ورقَّتي وحيائي
تحت هذي الثِّياب حبٌّ وحربٌ وفؤادٌ ممزَّقُ الأشْلاء
خافقٌ راجفٌ كطيْرٍ ذبيحٍ يَتَنزَّى في رعشة الإفضاء
كلَّما ثار يرْغبُ الجهْر بالحبِّ ويُنْهى لَظَاهُ بالإبْداء
صدمته من الحياةِ التَّقاليدُ فردَّته وهو في إعْيَاء

* * *

كم جلسْنا معًا على أعين النَّاس كأنَّا في خلْوة حَسْنَاء
ماعيينا عن التَّجَاوُب بالرُّوحَيْن في نَجْوَةٍ من الإفْشَاء
لغةُ الحبِّ قدْ تعبِّر في الصَّمت بما في العيون منْ إغضاء
رُبَّ وجه يُبينُ ما يخمل القلْب ويَحْكي أعماقَه في جلاء
وابتسامٍ يشفُّ عنْ طرب الرُّوح وعن صدْق لهْفَةٍ واختفَاء
هيَّأتْ لي الأوهَامُ أنَّك تدرينَ هُيَامي وتَرْحَمينَ عَنَائي
وتحنِّين لي حنيني للقياك .. على خَشْيةٍ من الإيماء
أصحيحٌ أنَّا صمتْنَا كلانَا عن هوًى وَاحد قديم النِّداء
أمْ خيالي المحمُومُ صَوَّر لي الحلمَ فأغْرقتُ جاهلاً في هُذَائي
ثمَّ أصحُو على أغَانيَّ في الرِّيح ودُنْيا هوايَ بعضُ الهواء !؟

* * *

عنـدمـــا تـرْفلين فـى مـــثـــزرِ النوم بَهَـــاءً فِي مـــئـــزر من بهـــاءَ
وتجـيـــئينَ ذلك الخِـــدْرَ تُغْـــفينَ مـــلاكًـــا مُـــرفْـــرقَ الأضـــواءَ
في سكـون ترفٌ من جـــســدى الرُّوح وتسْــعى إليك فـى اسْــتـحــيـاءَ
تدْخُلُ الخِـدر كـــالنَّســيم تناجـيك بسـرعـة عَـذْبَتُــهُ فى انْطـوائى
بدُعَـــاءَات ســـاهر ذى جـــراحٍ وخـــيـــالات شَـــاعــر ذى بُكَاءَ
تـتـــمـــلاَّك ســـاعـــةً ثـمَّ تمْضـى بجـناحـــيْـن من هـوى ووَلاءَ
حـــيث تأتِى فى آخـــر اللَّيْـل نَشْـوَى بأمـــانٍ فـــجْـــرِيَّة بـيـــضـــاءَ
وَبِوَعْـــدٍ أن يُـوعِـــزَ الحبُّ لِلْحُبٍّ فنرْمِى قـــيـــودنا فـى لِقَـــاءَ
١٩٥٤

أجيبي يا سمرَاء

سمراءُ هل ذُقْتِ الحنينْ وبَلَوْتِ ليْلَ العَاشقِينْ
ومرسْتِ لَذْعَ الشَّوْقِ والأحلامَ والأرَقَ الحزِينْ
وشَعرْتِ فِي أعْمَاقكِ الحيرى جُنُونَ الشَّاعِرِين
فَعَرفْتِ ما يَعْنِي الهوى أم طِفْلَة لا تعرفينْ ؟

* * *

سمراء فِي المرآة حين نَظَرْتِ فى هذا الصَّباحْ
وبَدَتْ أمامك طَلْعةٌ نشوى كَأنْفَاسِ الصَّباح
أسبحْتِ فى دِفْءِ يَعُودُكِ فى الغُدُوّ وفى الرَّوَاحْ
أذَكَرْتِ فِي لونِ الخدود وسحْرِهَا لونَ الجرَاحْ ؟

* * *

سمراء حين قصدْتِ لَيْلَ الأمْسِ خدرك تَرْقُدينْ
ألبثْتِ وَحْدَكِ فى فراشك ساعةً تَتَقَلَّبِينْ
أكَشَفْتِ شيئًا غامضًا بين الجوانح تَكْتُمينْ
فعرفتِ مَا يَعْنِى الهَوَى أَمْ طفلةٌ لا تعْرِفِينْ ؟

* * *

سمراء لى قَلْبٌ هنا أخْفَيْتُهُ تحت الثِّيَابْ
قلبٌ عنيدٌ لَيْس يهدأُ ليس تُشْبِعُهُ الرِّغَابْ
أبداً يُعَرْبِدُ فى دمى أبداً ويهْدرُ كالعُبَابْ
طفلٌ كبيرٌ لاَ ينَامُ ولا يملٌّ من العَذَابْ

* * *

سمْراءْ هذا القلبُ يُضْنِيه هواكِ وتجهلينْ
هَدْهَدْتُهُ بيد السَّرابِ فظلَّ يخفقُ بالحنين
أتُرى فهمْت صراعِيَ القاسى مع الشَّوق الدَّفِينْ
فعرفتِ ما يعْنى الهوى أم طِفْلةٌ لا تعرفين ؟

* * *

سمراء إن الحبَّ إيمانٌ جميلٌ بالحياهْ
ابن الرَّبيع البكرُ ينْبض فى العيونِ وفى الشِّفاهْ
نَبعٌ يُجَمِّع طَائريْن يُغَنِّيانِ عَلَى طلاه
شيءٌ قَوِىٌّ ليس يخضعُ ليس يعرِفُ من إلَه

* * *

سَمْراء إنِّي قد أُهَوِّمُ في جِواءِ الحالمين
فأراكِ قُرْبي لا تقاليدٌ تقومُ ولاَ عُيُون
وأفيق لا أدري أأنت دخلْت دنْيا العاشقين
فعرفتِ ما يعنِي الهوى أمْ طِفْلةٌ لا تَعْرِفين ؟

١٩٥٢

بلا شاطىء

ضيـــــاع

فى شـعاب الحـياة أدركنى اللَّيل فـثارت رياحُـه باحْتِـدامِ
فتـوكأتُ فـى كلال على الصَّـبر ودثرت بالرجـاء حُطامى
وتَحَـاملْت عَلَّنى أعـبـر الدَّرب وأجـتـاز وَعْـرَهُ فى سـلامِ
فتـعثَـرت فى صخـور طريقى وتخبطت فى تلـول ركامى
اعـبـرى يا دليلتى ودعـينى فـسـأبقى كـمـا أنا فى ظلامى

* * *

لا أرانى أسير فى قسوة الصَّخْرِ وأمضى فى ثورة الإعصار
انظرى حطَّمت عَصاىَ الجـلاميدُ وقدت يدُ الرياح دثارِى
نفـد الصَّــبْـر والرَّجـاء فــهل ينفعُ عـودٌ مـقطع الأوتارِ
سـوف أبقى هنا أسـامـر أشـبـاحى وأبكى لـقلبىَ المنهـارِ
وأبث الدجى شـجـاى وبرحى نفـثـاتٍ يزفـهـا مـزمـارِى

* * *

بين جنبىَّ راعشٌ ودَّع الأحــلام فـى حـســرةٍ ومــال بهمٍّ
وسرى فى الشِّعاب مضطربَ الخفْق بلا غايةٍ ومن غـير حلمٍ
لم أمشِ وأيـن لا أرغبُ السـيــر ولكنّنى أسـيــرُ برغــمى
غـير أنِّـى عجـزت وانطفـأ العـمر سـوى جـذوةٍ تشيِّعُ يوْمى
يا إلهـى ألم تجـئـك لأجلى دعــوةٌ مـن أبى التـــقىِّ وأمِّى ؟

* * *

لم تبالِ الحـيـاة يـومًـا بحـزنى وبكائى ولـم تـصغ لهـمـومى
كم زهت شـمسـها بهـاء وروحى فى ضبـاب مخيِّمٍ وغيـومِ
كم بدا بدْرُها وضـيـئـًا علـى النَّاس وبدرى مـشـوَّهٌ ونجـومى
عــبـثًــا أرسل الشكـاة فـمــا تســمع بثِّى ولا تحس كـلومى
بُحَّ صـوتى وعدت من صـخَبِ العيْش وحـيدًا بقلْبىَ المـهزومِ

* * *

أنذا بين ذكـــرياتٍ عــرايا نبــشَـت قـبــرها لتنـهض إثْرى
ذا صبـًا مات ذا شبـابٌ شـهيـدٌ غادر الأرض فى نفـورٍ وذُعرِ
ثمَّ مــاذا هذى بـقــيَّــةُ حسٍ تتــلاشى وتلـك أصــداء فكرِ
هكذا يجـثم المغيبُ على فـجـرى ولـمَّا يضـمَّنى نورُ فَجْـرى
كل شيءٍ مـضـى ولم يبْق إلا عـبـرانى هنـا وأشـلاءُ عُـمْـرى

١٩٥٢

بـــــلا شـــــاطـيء

زورقى الرّاجُف فى العـتـمـة أشْـقـاهُ الكفـاحُ
والســـراجُ الشّـاحِبُ اللّاهـثُ غـالتْـه الرياحُ
لا رئى مـــوْجٌ ولا نجمٌ ولاجــاء الصَّـــبـــاحُ
أيهـا الصائح عـبْـر البحـر لا يُجْـدى الصِّيـاحُ
قد هوى للقـاع مجدافُـك واستعْـصى النَّجاحُ
أنت ذا تـغْـــرِقُ والشـــاطيء نـاءٍ لا يتـــاحُ

* * *

هى ذى الأيَّـامُ توهـى قـــوتى تُـوهِن بـأسى
تتـــهـــاوى بوجُـــودي وبـأحـــلامى وحـــسِّى
أبداً أخـطو إلى يوْمـى على أشْـــلاء أمـــسِى
كلّ يومٍ مـات من عـمـرىَ فـيـه بعُض نفـسِى
هكذا أَعْـبُـر فى صـمـتٍ إلى حـفـرة رمْـسى
هكذا بالزَّورق المصـدوع فى الأعـمـاق أُرسى

* * *

لكأنِّى فى الثَّرى الدَّاجى لقًى ينحلُّ يوْمَا
جثةٌ بكماء لا تهفُو ولا تشْعُرُ ثمَّا
ابنةُ الطِّين كما قالُوا تجىء الطِّين حَتْمَا
هل يبالى العالم الصَّاخب أنْ غيَّب جِسْمَا !
لا أرانى أشغل الأقدار أوْ أوقف نجما
ولقد تذكرنى الدُّنيا كما تذكر حُلْمَا

* * *

فيم جاء الشَّبَحُ العابر كىْ يشقى ويفْنَى
أىُّ سرٍّ غامضٍ يكمن فيه أىُّ معْنى !!
لقنونا أن هذى حكمة أكبر منا
علمونا قصة تورق أحلامًا وأمْنَا
فمزجناها بخفق القلب أطفالاً ونمنا
ليت أنَّا ما نسيناها كباراً ليت أنَّا

* * *

ويك يا إنسان قد ألقتك للدنْيا غوايهْ
قلّب السَّطحَ أو القاع سُدًى تبغى الهدايهْ
أنا أمشى مِثلَما يمشُون لا أقصِدُ غَايَهْ
فبرغْمى وبرغم الناس مثَّلْنا الرِّوايهْ
ثم نَهْوِى دون أن نَفْهم مغزًى للحكايهْ
فاتنا البدء ولن نُدْرك ما كُنْهُ النّهايهْ

١٩٥٣

قيود لا ترى

« إنه ليس بضيق ولا بمرض طارىء .. إنه أنا .. » سارتر

يا أخي هذى يدى لا قيد فيها .
وحديدُ الغُلِّ لا يربطُ ساقى
أفأبدو لَكَ حراً ؟!
عجبًا لكنَّنى أحملُ نفسى
وأحثّ الخطو فى غير انطلاقِ
وأجرُّ السَّاق جراً . .
وكأنّى لست حراً . .
وكأنّى مستنيمٌ لوثاقِ

* * *

قَسْوَةُ الصَّحراء أَدْمَتْ قدمى
وأنا أزحفُ فى قيْدى الخفىّ ..
وشممتُ الطِّين يسْرى فى دمى
فتضاءلتُ لضعفى الآدمىّ ..
وتأملتُ ضياع القافلة
والرِّمال القاحلة

فبكيتُ . . .

وأنا فى لهفة منْ حبِّ عيْشى . .

فى هجير التِّيه أمْشى

وخيوطٌ وقُوىً تجذبنى وِفْق هواها

فأنا عبدُ خطاها . .

ورضايَ

خدعةٌ من كبريائى المرغمة

ومُنايَ

خمرةٌ تسكر ضعفى

كم ملأت الكأس منها متْعبا . .

فتعللّْتُ بكأسى

وأنا أحمل نفسى . .

* * *

روحى البيضاءُ حيرى فى دياجى بدنى

كلّما شاءتْ فناءً فى الوجودْ

عاقها الجسم فناءتْ بالقيودْ

كم أرادت أن تكون . .

قطرةً يُلقى بها الفجر لأوراق الزّهورْ
أو غناءً مُرْسَلاً عبْر الفضاء
أو نسيمًا كالنسيم . .
أو شعاعًا . .
فإذا همَّت بأَنْ تتركنى
أثقلتها رعدةٌ فى بدنى
فمضت تلعنُنى
هكذا تجذِبُنى الأرضُ إليها رَغْم أنْفى
وغداً تصرع طيْفى
وغداً تحضننى

* * *

أو تدرى يا أخى مأساة حبِّى ؟ !
أسْأل الصفصافة العجفاء تُنْبى . .
عن حبيبين هناك التقيا فى أمسية
وعلى شوْقِ التَّلاق
استناما لعناق
وأفاقًا فإذَا الطُّهْرُ دِمَاء

وإذا ترنيمةُ الحب بكاء

اسأل الصفصافة العجفاء تنبى

قد دفنَّا طهرنا فى وَحَلٍ من جسدينْا

قد دفنَّا طهرنا بالرغم منا

إِنه الوحش الذى يغْوى سنينا

إنه عربدةُ الشَّوة فينا . .

إنه ضعف الثرى . .

* * *

هكذا تتبعنى لعنةُ قيْدى الآدمىّ

هكذا تتبعنى صورة ضعْفى

كان لى ربٌ عبدتُهْ . .

كنت فى أمسى عرفتهُ

من أبى . .

ثم فكرت لكىْ أعرف ربّى بيقين

وتفقدتُ إلهى بعد حين

فإذا بى قد فقدته

قد فقدته . .

غير أنىّ كلّما تشْدو الطُّيورْ

كلّما يعْبُرُ نعشٌ للقبورْ
كلّما يولد يومٌ أوْ يموتْ
كلما تبسم زهرةْ
كلما يعْزف جدولْ . .
كلّما يحدثُ هذا أو سواهْ
يقشعرُّ القلب إذْ يبدو الإله
بينما يحضرنى قول أبى . .
وأنا بعدْ صبى . .

* * *

إننى أرسلُ عينىً بعيداً
ثم أرْتَدُّ كليلاً عند غايْة
لم لا أجْتَازُ هاتيكَ الحدودَ ؟
لم لا أنفذُ عبْر اللاَّنهاية ؟ !
لم لا أملك ذاتى . . ؟
إنَّنى جئتُ لأمرٍ مًّا كما تبصرنى
ربّما جئتُ لأمر ما بنفسٍ غير نفسى
أنا لا أختار كأسى . .

كل شيءٍ جاء كرْهًا في وجودي
كل شي يا أخي حتَّى وجودي
أي قيدٍ شدَّني من عَدَمِي
دون أنْ يسألني ما أرَبِي ؟ ؟
أي قيدٍ شدَّني من عدمِي
وأتى بي هاهنا يلعبُ بي ؟
لا تصدَّقْ أنني ربٌّ فعالي وخلالي
بل أنا عبد فعالي وخلالي . .
وهي من صنع الطَّريق . .
أولسنا برقيق ؟ ؟
نحن أسرى في قيود مارده
في قيودٍ من دمانا الآدميَّة
من زمانٍ ومكانْ . .
من قدرْ . .
أفتدري لم ضِعْنا يا أخي . .
أفتدري لم لا نملكُ في الأرض اتجاها ؟ !
ما أنا حرٌّ ولا أنت طليقٌ في مداها . .
نحن نمشي في قيود لا نراها . .

* * *

يا أخي هذي يدي لا قيد فيها . .
وحديدُ الفُلِّ لا يربطُ ساقي
أفأبدُو لك حرًا ؟ !
عجبًا لكنني أحمل نفسي . .
وأحثّ الخطوَ في غير انطلاقِ
وأجرُّ السَّاق جرًّا . .
وكأني لستُ حرًّا . .
وكأني مستنيمٌ لوثاقِ . .

١٩٥٣

الكــــأس

ظلالُ المغْرب الورديِّ تذكرنا
وما زالت تعرِّجُ عند مجلسنا . .
وثمة أعينٌ فى الأفق تنتظرُ . .
وثمة جذْعُ صفصافة
يوُسْوس للغدير الضَّحْلِ « ما جاءتْ . .
ولم يأتِ . . »
ويمضى المغرب العابرْ
ويمضى مغربٌ آخرْ
ولا نأتى . .

* * *

فمنذ لقائنا الماضى
ونحن نعافُ جنَّتنا ونخْشاها
فإنّا قَدْ فقدناها

بكأسٍ قد شربناها . .

وصمت المغرب المخنوق يطوينا

وبردُ الليلِ ينذر جمر قلبيْنا

وزقزقةٌ على بُعدٍ تواتينا . .

وتهزجُ نسْمَةٌ سكْرى حَوَالَيْنَا

فنسبح نحن فى دفءٍ يُخَدِّرُنَا

وننسى عالم الناسِ

مع الكأسِ

* * *

أجل كانت لنا دُنْيا

فقدنَاهَا . .

بكأسٍ ذات إغراء شربْنَاها . .

سيبقى ذِكْرُهَا سُهْدًا يؤرقنا

ويبقى سرُّها شوْكا . .

وبعض السِّرِّ لا يُحكَى

ويبقى جذعُ صفصافة

يوسوس للغدير الضَّحل « ما جاءت . .

ولم يأت . . »

ويمضى المغرب العابرْ

ويمضى مغربٌ آخرُ

ولا نأتى . .

١٩٥٣

فى الهجير

يا طيوفَ الأسَى مَلَلْتُ مسيرى   وتهالكتُ ظامئا فى الهجير
جائعًا عاريًا سوى ورق التُّو   تِ وذنبٍ حملتُهُ فى عبورى
هل إلى ثمرةٍ وشربة ماءٍ   لشريدٍ يدبُّ فوق الصخور !!
تهتُ عن واحتى وضيَّعتُ ظلِّى   وأنا بعدُ فى صباى الغرير
كان لى مجلسٌ بها ولداتٌ   وليالٍ مسقيةٌ بالحبور
ثرةٌ بالغناء والأمل الحلو براءٌ من القذى والسَّعيرِ
نجمةٌ تحت سقفنا تسكبُ النُّور وكوبٌ لكلِّ راوٍ صغير
والحكاياتُ والأغانى توالى   تصلُ الليل راضيًا بالبكور
كيف يا واحتى تخطَّيت مغنا   كِ سلامًا على الزمان الأثير
صاغرًا أنقل الخطى فى اضطرابٍ   فى اغترابٍ على طريق عبرِ

* * *

أنذا موجعٌ أحسُّ برجلى   عثرت يا لروحى المقهور
دميت والترابُ فاح من الجر   ح مثيرًا تقززى ونفورى
لم طاوعتَ يا أبى همس أُمِّى   وبتفاحةٍ زرعْت مصيرى

عبرتْ بسمةُ الوليد ولهو الطِّفل فى نشوةٍ كحلمٍ قصيرِ

ثم هذا أنا أضيعُ على الدَّرْ بِ وحيداً بقلبى المفطور

ألمى خمرتى وسُهْدى نداما ى وخوفى مخدتى وسريرى

تنبتُ الأرضُ ذلتى وسقوطى وإسارى لشهوتى وشرورى

كلما كدتُ أودعُ الروح معنًى من معانى الجمال ردت بنيرى

أعجزتنى كثافة الجسم أن أنشق زَهْرى وأن أذوق غديرى

فتراجعتُ كاسفَ البال سأما نَ حزينًا على الجناح الكسيرِ

* * *

رغباتى مقُتولةٌ بحبالٍ ناعماتٍ مفتولة من حريرِ

لستُ حيًّا فأبتغى ليِّن العيش ولا ميِّتاً فأنى شعورى

أنا بين الحياة والموتِ مثلُ العقل بين الهوى وبين الضميرِ

أنا روحٌ تهيم أثقلها الجسم فناءت بحملها الموفورِ

ذاع فى أول الربيع عبيرى ذاب فى أول الربيع عبيرى

جسدى أيها المدنَّسُ يا ابْنَ الأرض دعْنى وأنت يا روح طيرى

واصعدى يا بنة السَّماء إليها واسعدى بعد طول عيش مرير

تقصُرُ الروح عن بلوغ مناها أنت يا جسم سرٌّ هذا القصور

بـعـد حـين سـتـسـكـنين إلـى الأرض وتـهـوى إلى مـقـرٍّ أخيـرِ

ويـهـالُ الـتُّـراب فـوق تـرابٍ كـان فـى شـكـله كـجـسـمٍ طـريـرِ

* * *

قَـدَرِى أيـن غـايـتـى أوغـل الـلَّـيـلُ ومـا زلـتُ ضـاربًـا فـى فـتـور

جـائـعًـا عـاريًـا سـوى ورق الـتـو تِ وذنـبٍ حَمَـلْـتُـهُ فى عـبـورى؟!

١٩٤٥

الطـــريق

عُـجْ أيُّـهـا الـعـابرُ الـصـديـق وكـن رفـيـقى عـلى الـطَّـريـقْ
طـريـقـنـا الجـهـم قـد حـوانـا صـنْـوَيْـن فـى ضـعْـفـنـا الـعريـقْ
فـى خـوْفـنَـا دربَنَـا المـعـمـىّ فـى رقـنـا الـغـامـض الـسـحـيـق
عـج أيـهـا الـعـابـر الـصـديـق قـد يـسـهـلُ الـوعـرُ بـالـرفـيـق
ولا تـقـلْ إنـنـى غـريـبٌ فـبـيْـنـنـا رابـطٌ وثـيـق
فـإنّـنـى أنـت فـى سـرانـا بمـغـرب الـنُّـور والـشُّـروق
يـصـرصـر الـقـيـدُ فـى دمـانـا ويـنـبـض الـطـينُ فـى الـعـروق
يـا صـاحـبـى أنـت آدمـىٌّ فـأنـت فـى مـحـنـتـى شـقـيـق

***

من أيـن أقـبـلـت لـلـخـطـوبْ ومـنـذ كـم تـقـطـع الـدروبْ
ومـا بـجـنـبـيـك مـن أمـان ومـا بـكـفَّـيـك مـن نُـضُـوبْ
وهـل تحـكّـمـت فـى شـروق وهـل تحـكـمـت فـى غـروبْ
أراك أقـبـلـت مـن طـريـقـىً فـنـحـن نـداَّن فـى الـنَّـصـيـب
وتجـمـع الـنـاس حـيـث كـانـوا لـذائـذُ الـعـيـش والـكـروب
قـل لـى أخـى هـذه الـبـرايـا تـسـيـح فـى ذلـك الـكـثـيـبْ
تـقـدم الخَـيْـرَ والخـطـايـا وتـرسـل الـشـدْوَ والـنـحـيـبْ
مـا شـأنُـهـا بـعـدمـا تـغـيـبْ ويـسـكـت الـصـوت والـدبـيـبْ
هـل يـحـمـلُ المـوتْ غـيـر مـوت؟ لـو كـنـت يـا صـاحـبـى تجـيـبّ ؟!

لو كنت يا صاحبى تبينْ ... ما غاية الضّحك والأنينْ
مهزلة العيش فى بقاء ... بسرها الغامض الدفين
وكم نقلْنا الخطى حيارىً ... مضيَّعى القصد بالظنون
فكلٌّ ما تنسج الليالى ... وكلّ ما تحمل القرونْ
من حاجة العقل لليقينْ ... والقلْب للملجأ الأمينْ
ويحصد الموت ما زرعْنا ... بمنجل الحمق والجنونْ
وَيَبْرُدُ الفكر والحنينْ ... ويرقدُ الطينُ بينْ طين
لدودة تأكلُ الجفون ... ودودة تشْربُ العيونْ
كم يعبث الموت يا رفيقى ... ونَشْوَةُ القلب كم تهونْ

* * *

أهكذا ينتهى الوجود ... ويستوى الناس والقرودْ؟!
لا يصغُرُ القردُ أدميًّا ... فى شرعة الدود واللحودْ؟!
طبيعة الجسم حين يَبْلَى ... أمْ حكمة الخالق الرشيدْ ؟؟
أخى أرى الدهر لا يبالى ... بما بنى الوهم للعبيدْ
يخلّدُ العيْش فى خطانا ... وليس لى أوْ لك الخلودْ
أخى فقم حطِّم القيودْ ... والخوف والحقد والشرودْ
وسِرْ معى طاهراً خفيفاً ... نَعُبُّ من خمرة الوجودْ
حياتنا فى غد ستخْبُو ... فعانق اليوم ما تريدْ
أتيْت من عالَمٍ غريبٍ ... فعش هنا قبل أن تعودْ

١٩٤٥

٢ - أغنية إلى الحياة

أغنية إلى الحياة

أمَّا الكَتي حين ران السكون على هيكلي
وطَالت صلاتيَ في خشْعة الرَّاهب المخْتلي
وكدت أرى جَنَّة الصَّالحين بقلب الولي
تسمَّعت خطوك خلف الجدار فلم أكمل
وألقيْتُ عَنِّيَ تلك المسوح وكلِّي حنين
وعانقت فيك الوجود الطروب كما تبتغينْ

* * *

أمالكتي حين جنَّ الظَّلام على بهْجتي
ولاحقني اليأسُ حتَّى تضاءلتُ في محنتي
تَعَجَّلتُ يومي وأعملَتُ فَأسيَ في حفرتي
وما إن ذكرتك حتى تراجعْتُ يا ربَّتي
ومن يومها لم أعُدْ أستكين ليأسي الْحزينْ
وعانقت فيك الوجود القويَّ كما تبتغينْ

* * *

أمالكتي حين ألفيْت أيامَي الهاوية
أطاح بها الصَّمْتُ والحزْنُ والأنَّةُ الشاكية

تحسَّسْت قلبىَ عجلان فى لهفة صاديهْ
لكىْ أطمئنَّ إلى أنَّ لى بعض أيَامِيَةْ
وقمتُ أودّع فِى صحوتى وقفة الحائرين
وعانقت فيك الوجود الحثيث كما تبتغين

* * *

أمالكتى حين فتَّحت الشَّمس زَهْر الحقول
وحين تفتّح قلبى الصبىُّ لحبٍّ جَميلْ
وقامتْ (تقاليدهم) تستبدُّ بأحلام جيلْ
حطمت التقاليد واجتزْتُ دربى بَيْنَ السُّيولْ
وعانقت ليْلاى لم أنتظر حكمة العاجزين
وعانقتْ فيك الوجود الجميل كما تبْتغين

* * *

أمالكتى حين قالُوا مغيرٌ وراء الحدودْ
أتى ليعطِّل سيْر الحياة بِذلِّ القيودْ
تعلّمت حريّتى من هواك القديم الجديدْ
ودافَعْتُ عنك بروح جليد وعزم حديد
وَعُدْتُ أردِّدُ لحنًا فتيًا يهَزُّ السنينْ
وعانقت فيك الوجود الطليق كما تبْتغينَ

* * *

أمالكتي في دمي عاشق مغرقٌ في هواهْ
له سطوةٌ في كياني من جبروت الإلهْ
تُحَرِكُني ملْء هذا المدى نَبْضَةٌ من قواهْ
ويُمْلي عليَّ إذا ما شدوت نشيد الحياةْ
ويبقى مدى العمر في كلِّ شيءِ وفي كلِّ حينْ
يعانقُ فيك انبثاق الوجُودِ كما تبتغينْ

١٩٥٤

الصّعــــاليك

مضـى الليلُ مُسْتعجلاً يا رفـاقُ وإن الليـالى لتَجْرِى بِنَا
مـراحًا ولـهـواً نـسينـا الـنَّهـار ونـحـن نضجٌ بـه مـؤهنـا
مضى الليـل فى بؤسنا الفـوضَوِىِّ وكم ذا نُعربد فـى بؤسنا
نـنالُ الـنَّجوم عـلى بـعـدها ونـغـزو الزمـان علـى يـأسنـا
لقـد غَلَّبتْنا الـعجُـوزُ فمـاذا سوى الـوهْم فـى طوْقـنا ؟؟

* * *

وكـان الدجى آخذاً فـى الـرحيـل يلـمـلـم أذيـالـه البـاقيـة
فـقـمنـا نـودِّعُ مـسـتضـحـكـين ونمـضغ آمـالـنـا الـباليـة
فـلا لا تطـامن جُـوعَ الجياع ولا تُـذْهـبُ الرَّعـثة الـعـاتيـة
ولمـا افـترقـنـا لـعـنْتٌ الـشـرود يـخـانقُ أيَّـامـنـا الـغـاليـة
ورحت أحـدِّق عبْـر الضبـاب عسى أبْـصر الـليلـة الماضـيةْ

* * *

وألْـفيْـتُهـا فـى غبـار الدورب غـباراً تـدوسُ عـليـه القـدْم
كشـعْشَعـة الخمرِ طـارتْ وذَابَتْ فيـاتعْـسها لـيلة مـن عدَمْ
ويـاتـعْسها ثـلة العاجـزين يلوكـون فى السفـح حُلْمَ القـممْ

عـلـى لوعـةٍ مُـرَّةٍ فـى العـروق وجـرحٍ قـديمٍ كريـه الألـمْ
تغـنَّوا بمـلحـمة الـفاتحين لـكى يـعْبُـروا فوق جـسر الـسأمْ

* * *

وحـانـتُنـا تحـت كـرمٍ عـتيـقٍ بـلا ثـمـرٍ - كـنديم حـزيـنْ
صعـاليـك نضـحك مـلء الشـفاه وتـعصـرنا عـلةٌ لا تـبين
وأذكـر أطرقـتُ فى لـيـلة وطـوَّفت نـحـو شطـوط الحنـين
أراجـع أحلام حـبٍ رخـيـصٍ تبـَّنـيـتُه فـى ظـلام الـسنـينْ
فإنّـا عرفنا صـنوف الشّـقاء ولـم نـنْجُ من شقْـوة العاشـقينْ

* * *

ولمَّا قـصصْتُ عـليـهْم هواى مَـضَواْ يْلـغَطُـون بذكر الـقدرْ
وغـادرتهـم فـجأة وانـطـلقـت إلى غـيـر قصـدْ كـأنّى أفـر
على جـانب الدرب كان الرَّصـيف بليدًا يـضيعُ عليـه المطرْ
وفـكرت ثَـمَّة حـقل يـبشّ وروح اخـضرار تـعود الـشجـرْ
تمـنـيت شـيئًـا ولكـنْ عبرتُ ولا شـئ فى خـاطرى يـسـتقرّ

* * *

أنـبَقـى نجوس خـلال الـظلام وفـى فـمنـا كلْـمـةٌ لا تقـالْ
على الـنَّرد والكأس مات الـزَّمان سوى جَذْوَةٍ وبقـايا ظلالْ

نجوع فنأكل تَمرْ الخيال ونعْرى فنَلبَسُ صوف الخيالْ
إلى كل واد نمدُّ الجناح ونأتى وحسرتنا لا تزال
لنا جثَّةٌ فىَ بطون البِحارِ وثانيةٌ فى أعالى الجِبالَ

***

أمانك يا درْب إنّا صحابك رغْم الصَّقيع ورغْم الأوَارْ
مزجْنا نسيمك بالأمنيات وياما تلقْيتنا فى العثارْ
وياما حنوت على سرِّنا ولم تنس أوجهنا فى الغمارْ
هنا كنزنا مودعٌ فى ثراك وكدنا نواتيه لَولاَ جدَارْ
سقطْنا على صخرهِ متْعبِينَ وقُمْناَ ولَمَّا نَزَل فى دُوَارْ

١٩٥٥

جزء من رسالة

صديقتي والبحر بيننا بلا حدودْ
قاسٍ كحظِّنا ومثلُ حُلمنا مديدْ
كم مرَّةً وقفتُ في الريّاح والجليدّ
سأمان ضائع الخطى كآدم الطّريدْ
والصَّمت حولى والظلام زاحفٌ بليد
كى أرسلَ الخيال صوْب شطِّك البعيدْ

* * *

صديقتي وكم صحوْت اللَّيْلَ في إعْياءْ
مخدَّتي الأسى وذلٌّ وخْدتي الغطاءْ
وفي دمي تشعُ بضعٌ أحُرفٍ بيّضاءُ
عنوان غْنوةٍ وليدة لأصدقاءُ
لوجهك النَّبيِل للمنَى وللقاءْ
تشع ثم تنطفي تذوب في الهواءْ

* * *

كنّا حلمنا أمسِ بالزَّواج والأطفالْ
تعريشةٌ تَرمَى علينا الكرم والظلاّلْ

أرجُوحةٌ لطفلنا ياما بنَى الخيالْ
تأمَّلى هذا أنا صمتٌ كالتِّمثالْ
وحدى هنا وأنت خلفْ البحر والجبالْ
العصر قاسٍ يا هوایَ يقْتُلُ الرجالْ

* * *

ياما عَدَدْنَا فى دجى ليالينا النجومْ
وأمْطرت على أعتاب حيِّنا الغيوم
نغفو على دفءِ المنى وبالمنى نقومْ
لكنَّ عصْرنَاَ العتىَّ ينْفثُ السُّموم
كيف نلمُّ شملنا المشتَّتَ المهزومْ
والموت جاء فى الذَّرَّات حولُنا يحومْ

* * *

الماء آسنٌ على الشطوط يستكينْ
الطير راجعٌ بلا رؤى بلا حنينْ
والبومُ والغربان وخْدَهَا على الغصونْ
يا ضيْعة النِّشيد فى زماننَا المجْنُونْ
إنّى حزينٌ مقفرٌ مَفَزَّع الظنُّونْ
لأنَّ عالم الإنسانِ مُقفِرٌ حزينْ

* * *

صديقتي هل أفزعتك نبرتي الجرداءْ
معذرة ففي دمي تعشش الظلماءْ
لكنْ فيه ما تزال أحرفٌ بيضاءْ
عنوان غنوة وليدة لأصدقاءْ
لوجهك النبيل للمنى وللقاءْ
وقد تشعُّ مرةً فتصبغ الهواءْ

١٩٥٥

* * *

الطوفان والمدينة السمراء

موال

يا حارسَ البُستان
عندّي عليلٌ يعجز الطّبيب منْ زمان
ويَدّعي العرّافُ أنّه يطيبْ
بقطرة من ماءِ زَمْزَمْ ...
وجُرعةٍ من ماَءِ نيلنا الحبيبْ
وشمّة من ناضر الرُّمانْ
ومُنْذُ ما مشى العرّاف أقطع الدّروب
أفَتّشُ البقاع عن بُستَانْ
يجُودُ بالثّمار دونما أوانْ ...
وساقني هنا النّصيب ....

* * *

في رجْعة الحجّاج ......
أترعت قربتَيْنِ من مياه زَمْزَمْ
وما عدمتُ ماء النّيل - دارنا في الشّطّ
ومرّ موسم الرُّمان
فما وَجَدَتُ وَصْفَةَ العّراف في بستانْ
وَعُدْتُ أسْحَبُ الخُطَى بِصَمْت

وفي المساء أوشَكَ العليلُ أنْ يَموتْ
فلم أطق مشيْت ....
مُحَيَّر الخُطَى مُضَيَّع الجَنانْ
وساقني هُنَا النَّصيب ....

* * *

يا حارِسِ البُسْتَانْ
لمحتُ من بعيد فوق غُصْنِ بَانْ
طلعين نَاضِرَيْن منْ رمَّانْ
فجئت أَحْملُ العلَيلَ قاصداً جُنَيْنتكْ
قد تُبْرِىءُ المسكينَ وَصفَةُ العرَّافْ
وأختم الطوافْ
وَددتُ لولاَ أنَّ عَامَ الجُوع ماَ تَركَ
أحَمَّلُ الجمال لَكْ
وأخطُبُ الوِدَادَ والرُّمان والبستَانَ
وحارس البُستان ......

* * *

مريض حب

"مستوحاة من مرددات ريفية .."

مُعَذِّبى ......
أيْنَ مِنَ اللُّوَّام مَذهَبى
وأين من طول الليالى والسُّهاد مَهْربى
قلب المحبِّ لا يهدأ ولا ينام
وللهوى أحْكامْ ....
يُغرقنى وبحره الطَّامى بلا قرارْ
مُدَّ يديْك أوقفْ التَّيَّارْ
فأنتَ جارْ ....
إن لم تكنْ تجودْ باللُّقاَ وبالكلامْ
أنعم بِواجِبِ السَّلام .....

* * *

أنا طريحُ الفَرْشْ
للصُّبح ما أرخت الجنب ما غَمَضْت
هل يكحُل المنامُ مُقلتَىْ جريحْ .....
أطلُّ فى وجُوه عُوَّدى فَلاَ أرَاكْ
أقَولُ ما أقساك تمنع المزارْ
والدار قربُ الدَّارْ
ألا تطوفُ بالعليل قبلما يموتْ؟

يـــريـــد أن يُــســـرَّ كـــلـــمـــةً إلـــيْـــكْ
وأنْ يـــذُوقَ جُـــرعـــةً تـــشَـــفـــيـــه مـــن يـــديـــكْ
ولـــنْ يـــقـــول بـــعـــدهـــا عـــطـــشـــان
يـــا قـــبْـــلَـــةَ الـحـــيْـــران ....
تـــهَـــامـــس الـخـــلاَّن "داؤه غـــرام "
ومـــا أردتُ أن يـــذيـــع الـــســـر
لـــكـــنـــهـــم راؤك فـــى عـــيـــنـــىَّ تَـــســـتُـــقـــرّ
تَـــصُـــونُـــكَ الأهْـــدَابْ ......
فـــأطـــرقُـــوا ولـــم يَـــفُـــهْ أحَـــدْ
فـــإنّ لـــى أخـــاً مـــيْـــعـــة الـــشَّـــبَـــابْ
قـــضـــى صـــريـــع وَجْـــدْ

* * *

الـلـــيْـــل دون بـــــــــــــــابْ
أقْـــبـــلْ فـــكـــل لـحـــظـــة يـــهْـــوى شـــهـــابْ
أحـــــس أنَّـــــنـــــى وراءه أذوبْ
أُسْـــلِـــم نـــفْـــســـى بـــعـــدَهُ لـــدوْرى الْـقَـــريـــبْ
متى أراكْ ....
تـــطـــلُّ لـــى مـــن كُـــوتـــى بـــوجـــهـــك الـحـــبـــيـــبْ
تحـــمـــل لـــى الـــدَّواء كـــىْ أطـــيـــبْ
أهـــب مـــن فـــرشـــى إلـــيـــك ألـــتـــقـــيـــك
أغفرُ ذنْب مبعديك
السَّعْدُ فى كُمِّك والشفاءُ والأحْلام
فامطرْ على الظلام ....

نبـــويـــة

في قلب الحانة كانت ترقص
عاريةَ إلاّ من أشرطة حوْل النّهد
حوْل الردْفين المجنونَين ....
كانت ناراً أشعلها زنجيٌّ في الغابةْ
كانت طيراً بَرّيّاً لم يُسْتأنَس بعْد
الجسد الثّعباني الأفيونيّ اللون
وبريق العين الوحْشيّ
والغّمازة في الخدّ القمحيّ
- بارعةٌ كالشيطان !!
- رائقةٌ كمياه الينبوع !!
- حُلوه !!

* * *

إحْدى عشرة رقصة
شدّت أعيُننا في الرّاقصة النَّوَريّه
في الجسد المتلوّي بين حبال الجاز
في النهد الغماز
وصحونا في آخر شوط - كانت تلهث ....
وتمدُّ المنديل على مقعد

وامتدت أيُدى الرُّواد المسحورين .....
كلٌّ يطمع أن يرجع بالفوز
أن يمسى فارس ليلتها
كانت أنثى
عابقة النكْهة كالزَّهرة
ناضجةً كثمار الموز ....

* * *

همس رفيقى : دعْها ....
قد تمسك نجمًا من شبَّاك الحْانَةْ
لكنك لن تمسك نبويَّة
اسمعْ قصَّتها هى مازالتْ عذْراء
فارسها كان فتًى يعْملُ فى البْحر
ودَّعها من زوْرقه ذات مساء
وانتظرت أن يرجع ما عاد
لبثتْ تهواه
والنَّوريات يعشن بحبّ واحد
ألفٌ عشقوها بعده
ألفٌ سكبوا بين يديهْا الآه
نثروا الذَّهب على قدميْها
أبدًا ما حاد القلب العابدْ
ومضت ترقُصْ

ما فعلتْ إلاَّ غرقتْ فى أنفاسه
كانت فى اللَّيل المقمر ترقصُ له
وهو يرافقها بالنَّايْ
انظر ها هى تنفلتُ من الكلّ
شائقةً كفراشة حقل
فارعةً كالرمح ...
ستعود إلى الخيمة قبل الصُّبح
وستنتظر فتاها عند البابْ
لكنْ أيعود ؟؟
تحلف نبويَّة سيعود

* * *

فى قلب الحانة صَمْت
مازالت نَبويَّةُ فى أدمغة الروَّاد
ترقصُ إحْدى عشرة رقصة
بالقِّد المصقول ....
والعيْن الثَّابتة على مجهول
وعبير الأُنثى الصَّارخ بالأجْساد
لما كنت أعيد القصة
وأراجعُ أحلام العاشقة النَّوَرِيَّةْ
همس رفيقى : فى حصَّتها
وقرعنا الكأسيْن برفق
فى صحَّة نبوية

الطوفان والمدينة السَّمراء

"كتبت أثناء العدوان الثلاثي الغادر على بورسعيد الباسلة"

١ - رحلة

هذا طُوفان النَّار
يتدفَّق صوب مدينتنا بالويلْ
لا تقعدْ مهمومًا معقود الكفَّين
لا ترفع رأسك نحو اللّه
وتعال معى نعمل شيئًا لمدينتنا
لن ننتظر الموت هنا
قبِّلْ زوجتك إلى موْعدٍ
واترك أطفالك إن كانوا ناموا
ولتمض بنا
قد نرْجع قبل طُلُوع الصُّبح

٢ - فى الطريق

خمسة أميال ..
ما أحْلَى اللّيلة - قمريَّة
زاهية الأنجم ذاتُ رُواءٍ مسقًى بالسِّحرْ
ثبِّتْ معطف عليك
ما أجمل أن نحيا أن نتنفس
هذا غيطك طابْ
الحنطة قد شربتْ كلَّ خيوط الشَّمس
سنصدُّ الطوفان ونحْمى الحنطة والقطن
وستبقى أحلامُ مدينتنا السمَّراء
ومنازلنا
وملاعبُ (ليلى) و(مَهَا)
والشطَّ الأخضر كله

٣ - رفاق

لغطٌ - أصواتُ أحبَّاء ! !
سبقونا كي يقفوا فى وجه الطَّوفان
أبطالٌ كلُّ مدينتنا أبطالْ

هاقد جئنا السُّورْ
فلنرحف كالنَّار تصدُّ النَّارْ
ولنرجع كالنُّور
يا أصحابي فإذا متْنا
قد نَحْجُبُ عن قَلْب مدينتنا السَّيْل
ولنذكر أنَّا ما جئنا لنموت
بل لنَّرد الموت

٤ - الطوفان

نارٌ تنّصَبُّ علينْا ..
في كلّ طريق غيلانٌ وَسُعَارْ
ما أقسى الطوفان لنثبُتْ بالبابْ
لنْ ندعِ الغيلان تمرّ ....
الصبحُ قريبٌ فنتجلّدْ حتى الصُّبحْ
حتى نهلك أو ينأى الطوفان
أشلاءٌ وجراح
الموتى أحياء باسم إله الْحُبّ
والجرحى حبَّات القلْبِ لهم
شيئًا من صبر
بعد قليل ينحسر الطّوفان.

٥ - عائدون

ها أنت تعود معى !!
إنى مجروحٌ عند الكوع الأيمن
قد مات كثير تحت النيل
سَنُوَسِّدُهُمْ بمعابدنا
وسنكتب فوق شواهدهم قدِّيسُون
ما أغلى ساعات العمر الحرِّ
عدْ للزوجة والأطفالِ الآن
عدْ للكرمة والزيتون
منذ اليوم
عـد للباسلة السمراء

الجندى الأخير

صمدوا حتّى آخر مدَفعْ ....
حتى آخر جندى فى آخر فرقة
خمسة أيام بلياليها تزكو النّار
خمسة أيامٍ والقلعةُ كالطَّود
ثم أرتد الموت الزاحف
ثم احتضن القلعة طيفُ نهارْ
قبلها ألفًا وامتد
ليعانق فى رفق علم القلعة
ولينقل للعالم قصّة..

* * *

ذات صباح جاء الجند ..
أرسلهم ملكٌ مجنون خَلف البحر
ليعُودُوا بغنائم من جزر الخيرات
وسبايا شرقيات سُمر
عدَّتهم نارُ وسفّين وحديدٌ ينْصبّ
قائدهم تترىٌ لم يقهر فى حرب
لم يجُرَحْ فى سبعين قتال ..
"فلنضرب فى القلعة"

يوم - يومان - ثلاث أيام
يمطرها الموت فلا تنهار
تطقق بالنار النار
وتردد في بحة مدفعها لن أستسلم..
ولكن لم يصب منه الجمر
دكوها ونم على القبر
دكوها ... دكوها

* * *

وأتى فجراليوم الخامس
مازالت تتلاقى السنة النَّيرانْ
مازالت ترعد أحلام الموت وتُبِرق
والتتر يحومون ولا يخْطُونْ
في هذا الفجر
سقطت خلف جدار القلعة آخر فرقةْ
إلا جنديَّن التقيا مُحَنَّيين
واتفقا في نظرة عيْن
"لا تضرب من ركن واحدْ"
ولتنتقَّل في أمكنة الجند
إن الرخ يكاد يلم جناحَيه
ثم يعود بدون الصيَّد "
في هذا الفجر ...

لم تسكت فى القلعة طَلْقه
جنِّيان يشدان
يقتحمان صراع الموت بألف ذراع
لا كلمة إلاَّ الأنفْاس
إلا وَهَجاَ فى العيْن وهَمَسًا فى الصَّدر
"اللّحظةُ ميزان الخمس ليال"
مات الذعرُ
سقط الأوّل عند الظهر
لكنَّ القلعة مازالت تضربُ تضرب
مازالت تنذر بأتون إثر أتون
وأتى المغرب ..
التتر يعودون !!
" عجبًا إن الرخَّ يلمُّ جناحيه"
لكنِّى مجروح فى الرئة اليسرى
إنِّى ميِّت .
إنّى أذهبُ لكنْ بعد النَّصْر "

* * *

كان الشفقُ بلون الدَّم
وسحابات دخان تَصْعَدُ فَوْق البقْعة
وتَحركَّ آخر أبطال القلعة
بيدٍ تركزِ علمًا فى مَسْرىَ النَسّمة

ثم تميل فتكتب كِلمَةَ
" للآتين غدا ..
كلّ يدٍ تقدر تضربْ
قد تنصّركم غمضةُ عيْنٍ صبْر
يكتبها آخر جندى وهو يموت "
ثم انكفأ البطل ومات
ألقى بيديه على أول جسد لرفيق
عانق فيه الأصحاب جميعًا ..
أغمض عيْنيهْ على منظر دوْحَةْ
تمتدَ إلى كلّ الدورٍ بظلَ
وتميل إلى دار عند التّل
فيها أطفالٌ لهْ
ثم انداح سكون الليّل
ثم احتضن القلعة طيفُ نَهارْ
قبّلها ألفًا وامتد
ليعانق فى رفق علم القلعة
ولينقل للعالم قصة

الهـدَيــة

خدٌّ الجميل طاب
نهداهُ دوًّرا وفارت نبقتان طفلتان
وعودهُ امتلأ في غَفَلَة من الزَّمان
أسفر خاله فخاف خاله وعمَّه عَليه
وأوصيا به الحرأس والحْجَّاب
وحين جاء موكب الخطَّاب يطلب الأمان
وَفَضٍّ كل عاشق هديةَ على الملا
قال الجميل : لا ...
وعاد موكب الخطَّاب بالألماظ والحرير
حتى انتهى للباب عاشقان
أنا وسيدى الأمير
قيل ادخلا ادخلا
وقادنا لحضرة الجميل خادم نحيف
قال الأمير ليس فى يدى هدّية
هدّيتى بالباب ألف ناقة محملة
ومنزلان واحد مشتى وواحد مصيف
وكنز تبر ليس يعرف الزَّوال
قال الجميل لا :
وعندما مثلتُ قلت آه أيها الجميل

أما أنا فليس فى يدى هدية
لأننى فقير
أزرع قطعةً صغيرةً تفوت اثنين
أملك منزلاً يقيم اثنين
وأعشق الحياة والغناء والطرب
هديّتى إليك أننى محبْ
وأن طيفك الجميل فى دمى من القدم
وكنزُ حبَ ليس يعرف الزّوال
رَنى الجميل وابتسم
ولوّنت خدّيه حمرة طفيفة
ثم سمعت هَمَسته كأنه نغم
يقول لى : نعم ....

بقية اللحن

اسم المغنِّى حسنْ
فتىً نحيل شاحبٌ قوامُه ممطُوطُ
لكنّ جذوةً فى عينه تُحبِّبه
تعرفه بأسرها كلّ قرى أسيوط
فكلّما تطوف نحوها ليالى الأنس
يدعوه داعى القوم للطرب
وحين يشْربُ المساءُ حفنة الضيِّاء
يُرِى فتىً فى شاله الموشَّى بالقصبْ
يمشى كِنسْمة المساء ....

* * *

– أتى حسن
– شهْرين كان رهْن الفرْش والسقم
لكنع برغْم ما عليه من هزال
جاء فحيًا وابتسمَ
وبعد ما ابتدا وردَّد اللَّيال
ارتجل الموَّال عن فتى رقيق الحَال
صيَّاد غزلان يهيمُ فَى الجبال
ذات ضحًى جثا أمامه غَزالْ

ينْزفْ منه جُرْحُه السَّيَّالْ
فشق ثوبه وشد جُرْحه داواه
ونحو بيته دعاه
غذَّاه من حنانه سقاه
ويذكر الموالْ
أنَّ الفتى الصَّياد صاده الغَزَالْ
كان الربيعُ مشرقًا على الحياه
فَجُنَّ في هواهْ ......

* * *

تعاهدا على الكمالْ
تساقَيَا كاس الوداد والوصالْ
ما أجملِ الوفاء لو يدُوم
كان المغَنِّى يستوى على المجال
بنبرةٍ تثير صبوة الخيالْ
وتفتِح الكُوَى على الخدور
قال : ومرَ حولٌ بعد حوْل
قال : ودارت الأيام واللَّيال
وفجأة سكتْ ......
كان روِحه في صوته انتهتْ
عادت إليه علّته
فلم يفُه بغير كِلْمة أعتذارْ ....

قدْ طيَّر الكرى وطارْ
بقية الموَّال
ردَّدها لنفسه الفتى النحيلْ
وهو يُميت فى كفَّيْه وردةً حمْراء
ألقت بها عذراء من شبّاكها عليْه
"خان حبيبه الغزالْ.."
مشى وراء عاشق أغْراه بالَّلآلْ،
زُفَّ إليه من شهريْن .."
المبتلون يحملون سرَّهم ياليْلْ
ويسهرون وحدهم ياليْل..
فارفُق بهم ياليل

* * *

وحــــــم

سيِّدتى يا ربَّة النعَم
خادمكم يقصدكم فى حاجةٍ يسيرةً
شافعه إليكم خدمة السنين
وكلمة الرِّضى يقولُها يسمعها
وأنكم لَهَ الملاذُ بعْد اللّه
لقد تركت زوجتى فى الفرش لم تَنَمْ
حُبْلى وتشْتكى الوحم ....
كانت رأت أطفالكم ذاك الصباحْ
يُدَحْرجون بينهم تُفَّاحةِ حمراءْ
كأنها كرة ..
من يومها تشم نكهةً مخدَّرهْ
فيها شذى تفَّاحْ ..
سيَّدتى منذ درجْت
حديقة القصر تشير لى تعرفنى
فقد رأت نضال ساعدىَّ فى التراب
ووقفتى بالفأس والهجير نار
ورقّتى على الثمارْ ....
حتى نَمَتْ وضمَّت القطوف كلَّ لوْن
تستوقفْ الماشين جنْبَ سوْرها

وهبت قوتى لها ....
ومنذ أقعدت أبى يد المشيب
طرحتُ مطرحَهَ
فما أكلْت ثمرةً ولا حملت ..
وإن أكن أنا الذرى زرعْت !!

***

سيدتى تطلَّعى ......
شجيْرةُ التفاح زاد خيْرها السنه
وزوجتى يزول داؤها بواحده
فإن أذنْت لى قطفْتها ولن أزيد
لقد وعدْتُها بها متى أعود
ولو ملكتُ غير قوت الدَّار والعيالْ
لما أتيت للسؤال ....
لكننا وأنت تعرفين نَرْتَقُ الثيابْ
ونقسم الرغيف فى العشاء
وكلما نريدُ نكتم الكلام والألمْ
لولا مرارة الوحم ....

زائر فى الغربة

بعد الغيبة !!
بعد شقاء سنين الغُرْبةَ
عشْنا وتلاقينا يااليوم الحلو ..
مازلنا أحياء رغْم الموت !!
وإذا شدّ الشَّوقُ إليه حنين يديْن
ليس سدًى أن تدمع عين !!

* * *

كيف تركت القريهْ ؟؟
كيف النَّاسُ ألا أخبار؟؟
كيف الدار ؟ !!
أمس سرحتُ إلى الحقل المهجورْ
فركعت على الطّين جثوت
دوَّرتُ الطُّنبورْ
وأفقت وفى أنفى رائحةُ شعير
وبقلبى موَّال حصاد ..
وحنين يحضرنى منذ زمانْ
أن أحمِلَ عرقى وأعودْ
لولا الصبًّرْ

* * *

يا لليوم الحلو !!
دعنى أشعل مصباحًا فى الغرفهْ
ولنتناول لقمة ودّ
فهنا جنٍ وهنا خبزٌ طازج ......
أين ليالىَ الكرمة فى قريتنا
والضحكاتُ المرحة والأحلامْ ....
ورغيفٌ يأكُلُه اثنان
وخليلٌ يتغنى طال الليل
وخليل يتغنى !!
بكلٍّ الناس هنا غرباء
مثلى جاءوا خَلفْ رغيف العيش
تركوا أحبابًا فى البِّر الآخر
واحتملوا الأنواءْ
ليعودوا للأحباب بشئْ
لما نتلاقى نحكى ....
قد تدمع أعيننا مَرَّه
لكنَّنا أبدًا نبتسمُ كلَّ صباحْ
ونشُدُّ الأيدًى فى كلّ طريقْ
ونُؤمِّلُ فى الخير ....

* * *

يوم أتيْت ..
لم أحمل إلاَّ ثوبى ومشيْت
كانت قريتنا تبكى ذاك اليوم
كان الجوعُ يطُّوق كلَّ طريقْ
جفَّت كلّ الغيطان
قلت أخوضُ ولا أنتظرُ الموْت
قلْت أجُوب البرّ أو البحر
وعلى العين على العيْن
غادرت وَرَائى أمِّى يأكلها الحزّن
وأمينة يخطفها القهر
والحقلَ المتكئ على شطٍّ النهر
والأصحاب الأحرارْ
قلتْ أعودْ إذَا عاد النّوار
وانبثقتْ عيدانُ القمح
لأرى قريتنا وهى تزيحُ الأكفان
وتعيدُ ليالى الأجران
ويكون زُفافُ أمينة لى
فى أعياد القريهْ

* * *

يا لليوم الحلو ....
املأ كوبكَ إنَّ الشّاى كثيرْ
نفسُ الشاى الأسْود
ياما كان يدورُ علينا الكُوبْ
قلْ لهمُ عامٌ ويئوبْ ....
عامٌ ويدقُّ المغتربُ على الباب
لولا اللقمة ما غاب
لولا أملٌ يضْوى كلَّ مساء
املأ كوبك ..
مادمنا أحياءً لم يوقفنا الموت
فستقبلُ أيامُ رخاء ..

* * *

انتظار

العودُ جفّ
وكان ذات يوم يطرحُ الرمَّانْ
والخدُّ ورد ذلك الزمان جفّ
لم يبق غير الوهم والأشجان
ومسحة الطلاء
والرجفة التى تخانق الكيان
تثيرها عضُونها السمراء
وشعرة بيضاء ..

* * *

حدثّها عرَّافْ
عن فارس يجيئها وعن زفافْ
فلم تزل تحدّق المجهول بانتظاره
تصوغُ عشةً صغيرة فى الظّلّ
وشدْو طفلة وطفلْ
وخطو قادمَ يخوضُ فى الأمطار
تلقاهُ عند البابْ
تمسح عن جبينه المياه والتراب
تشدّ عنه المعطف المبتلّ

تصوغ مدفأةْ ...
يقتسمان جَنْبَهَا العشاء والسَّمَر
وحين يرقدان ..
تعطيه كلَّ دفئها لكى يقر
وحين يصْحوانْ !!
هنا تفيق حيث حلمها بلا أثر
وليس إلا ثوبها الفقير والكدرْ
والريح تخْبِطُ الشجر

* * *

كل مساء من سنين
يهمس شوقها وحزْنها إلي الشُّبَّاك
لعلّه هذا الفتى على اليمين
أو ذلك الذى يخطو إلى الطوار
وعينهُ علي الجدارْ ..
لَعلَّه وينْقضى المساءْ
فتسأل السَّماء كيف تنْسج الأقدارْ

* * *

مصائر البشرْ ؟؟
وحين لا تجيبها تسترجع البصرْ
بنظرة احتقار

* * *

طارق الليل

نقرتُ نقرتيْن ..
صديقتى أتيت فافتحى ..
الليل كهفٌ سدَّ بابُه على العيون
ضفائرُ حزينةٌ مجدولةٌ من الملل
وفى ضلوعى خيمةٌ كئيبةٌ من السَّواد
ومتعبٌ صديقتى أتيتُ من بعيدْ
تقودُنى البلاد للبلاد للبلادْ
ومنتهى مُناىَ أن أسَير
وأن أنيخ عند بابك الصَّغير
وأن أراك بعد هذه السنين
صديقتى أتفتحين ؟؟

* * *

أجلْ أنا .. رجعت ..
الثوب ما خلعتُهُ وما قعدت
وما أزلتُ عنِّىَ الْغُبار والْعرق ..
أول ماقصدت أن أريح عندك الحنين
تبكين يوْم عودتى ؟؟!
يمامتى قد شبَّ طفلنا الرضيعْ

خلِّى فمى يجفف الدموع
نعم تبسَّمى أحسُّ غربتى مضتْ
ذبابةٌ طنّت وأقلعت
لفتحة نار طيّرتها الريح وانتهت
خيط دخانٍ ذابْ
ليتنا لنا بلا أسىً ولا عذاب
نوقظُ فيها شوقنا وطفْلَنَا المراح
يؤنِسُنَا إلى الصّباح ..

* * *

أتوقدينَ الشَّمعدانْ ؟
أراه مُترِبًا كأنْ لمْ يضوِ من زمَان
منذ رحلتُ ؟؟ يا لله !!
كانتْ يمامتِى إذن تعيشُ فى الظَّلام
كانت تعدُّ مثلى الأيامْ
تصوَّرى حين طرقت الباب كنْت أرتعشْ
كانت بقايا وحشة الغريب فى الضّلوع
كانت هواجسُ الذَّهاب والرّجوع
تصوَّرى لم أقتنع بأننى رجعت
إلا وأنت بين ساعدىّ !!
ماذا عن الأصحاب - كلُّهم بخير ؟
محمود فى سفرْ ؟؟
عساه ذلك الشقىُّ لايغيبْ

أوحشْنى وأوحشتنى أمسياتُ مصر
والعنفوانُ فى ملامح الرفاق
صديقتى لم أعدمِ الرفيق فى الطريق
ولا اليد التى تدلُّنى بلا سؤال
ولا الفم الذى يقولُ كيْف الحال
لكنَّنى عزيزتى وخاطر الوحيد لا يقر
تركت هاهنا بقيةَ من النضالْ
ظلت تقولِ لي تعالْ ...
ظلت تشدُّنى لمصر

* * *

الليل فى المذياع ينتصفْ
ما كان شغل سهرتى سواه والصحف
وبالنهار كنت أُغرق الحنين فى العمل
وفى غلالة من الأمل ..
كم كنت أرهب المصير منذ ما ركبْت
أما ترين كم فرحتْ ..
لقد نسيتُ بالكلام أنَّ بي ظمأ ..
يمامتى قميصك الوردىُّ حُلْو
يمامتى سلمت لى ..
الطفلُ قد صحَا لنُبدلُ الشُّموعْ
فاللّيل بَعْدُ ما بدأ ..

الأحباب

طاف الأحبابُ علينا ..
عادوا طَرَقُوا البابَ مع اللَّيْل
ولقد عانقْنا قبَّلنَا الوَجَنَاتْ
رنّت فى الردْهة ضحكات ..
نوِّرنا نجفات الدَار
وسهرنا حوْل المدفأة إلى الفجر
ما أحلى أنْ نجتمع بخير ..
بعد طويل غياب ..

* * *

شبَّ حُسيَن ..
صارت ليْلى ملْء العيْن
زينبُ حبلى لثمانية شهورْ
نسجت ثوبًا وقماطًا للمولودْ
وأعدَّت قبَّعَة حريرْ
فألٌ حُلوٌ أن تثمر أيامُ العمر
أن تكبر قسماتُ صبىَ
أن يبزُغ نهدٌ فى صدْر فتاه
أن تولد فى الغيْب حياه

فألٌ حلوٌ أن يتخطى العتبات
صبيانٌ وبنات ...

* * *

منذ سنين ..
والأحباب يغيبون ويأتون
ما جاءوا إلا أشرق أملٌ حلو
فى أنّ الأيام ستُقْبِلُ وتمرّ
ويظلّ الأطفالُ يشبّون
ويظلُّ العالم يعْمرُهُ الإنسان
ما جاءوا إلا أشرق أملٌ حُلو
فى أنّ الأحبابْ ..
مهما تتغوّرْ مركبهم فى البحر
سيعودون ..

* * *

أغنية طائر صغير

بنشوة دَرَجْ ..
قربَ شجيْرة سخيَّة الأرج
وعلّمته أمُّهُ أَنْ ينشر الجناحْ
وأن يبشّ للصباحْ
وأن يجوب فى الرياض والحقول والبطاح
وراء رزقه المتاحْ ..
وعلَّمته أن يغنى كل يومٍ للرياحْ
حروف كلمة وحيدة غنيّهْ
(حريّهْ) ...

* * *

الطائر الصغير أتْقَنَ الْغناء
وميّز الفصول والظّلام والضّياءْ
واختار عشَّهُ على فروعٍ زيتُونه
جَنْبَ غدير لا يجفّ منه الماء
لايحرم الظّماءْ ..
جَنْبَ ممرٍّ نسْمَة ملساء
كم نقّر الحَنطةَ والبقولَ والحنَّاء
كم طارَ طار ثمَّ عاد فى المساء

مغنيًّا رضاهُ زافراً حنينهْ
فى الكلمة الأثيرة الفتَّيهْ
(حرِّيَّه) ..

* * *

وفى خريف عاطل فقير
طاف الجفافَ والفناء بالبذور
فطال جوعُ الطَّائر الصَّغير
ودوَّخ الآفاق باحثًا عن الغذاءْ
فلم يجدْ سوى الخواءْ
وكلما مرَّ على نوافذ القصور
رأى الطيور فى الأقفاص زادُها كثيرْ !!
وأزَّ فى حشاهُ الجوع ..
هنيهةً لكنَّه يواصل الطُّلوعْ ..
فى صوته النّحيل فرحةٌ خفيَّة
(حريَّه) ..

* * *

يا أيها الإنسان
" إلى روح ناظم حكمت "

لم يطبق اليدا ..
لأنه كان يمدُّها إلي صديقٍ بالسَّلام
حين انتهى ونام ..
ورفرفت حمامةٌ بيضاء تعْبُرُ الأُفُق
جناحُها رايةُ سِلم بالنسيم تصطفق
ينقل منقارها رسالةً للعالم الحزينِ
في غصن زيتونٍ ..
أخضر مايزال مخضلاً برقة النَّدى
لأن أمَّهُ شجيرةٌ رءوم
سخيَّة تُعطى بغيْر موسمٍ ولا مدى
ديوان ناظم العظيم ..

***

الحبّ بضعةٌ من الإله
اليائسّون حين يعرفون الحب يأملون
والخائفون يأمنون ..
ناظم هذا روحُك الوديعُ يملأُ الحياهْ .
أحلام فلاحين فى النَّماءْ ..

مصباح كوخ حمَّالين فى الميناء
فرحة غائبين باللقاءْ
ناظم ماأحلى تباشير الربيع فى الحقول
وما ألذّ الدفء فى ليل الشتا الطويل
وقصص الجدات عن فرسان عالمٍ نبيلْ
ينتصرون آخر المطاف
فارسُ هذا الزمن العانى بلا سلاحْ
يحارب الأشباح ..
يكادُ من دبيب الرعب أن يموتْ
يحملُ فوق ظهره التَّابُوت
أولا بصيصُ خاطفٌ من المنى طوَّاف
يبرق فى ارتجاف

* * *

ماذا وراء الريح ..
سوى حنين هذا العالم الجريح
إلى تفتت الأغلال والقضبان والصلبان
إلى المسيح راجعًا بالزاد للجوعان
بالبلْسَمِ المُجيرِ للمريض والكسير
بالظل للمعذّبين فى الهجير
ناظمُ طالما أنار ظلمة الوجدان
همسُكَ فى حنان :

(خيُر البحار لم نذهب إليه بعد
وأعذبُ الأطفال لم نلده بعد
وأجملُ الأيام لم نعشْه بعد)
يا أيها الإنسان ..
همسك باق يفرش الطريق للإنسان
نَمْ أنت فى أمانْ ...

* * *

أغنيات ناقصة

- كلمة ثقة

فى الأُمْسية الأخيرة
رأيتُ أو خيِّل لى وهكذا العشَّاق
كأنَّ فى عينيك كلْمةً تقالُ لى
لقفتُها ضممتها أَخفيْتُها بالثَّوب
فتحتُ غرفَةً لها فى القلب
أرقدتها على فراشٍ ناعمٍ وثيرْ
وكلما ظمئتُ فى مطارحِ الهجير
ودوَّختنى ظلمة المحاق ..
أوقظُها تبلُّ ريقىَ كلْمةُ التِّرياقْ
تنيرُ لى فى الدَّرب ..

* * *

- رفاق

أميرى ! النومُ طارْ ..
وقد تفرَّقَ الخلاَّنُ والنُّدمانُ والسُّمَّارْ
وانفضَّ رفقتى على حديث واجمٍ مرير
حولَ عزيز مات فى عام المجاعة الأخيرْ
رفَّ علينا رُوحهُ الوديعُ أوَّل المسَاء
شارَكَنَا حنيننا القديم للرَّبيعْ
لعالم بغيْر جُوعْ ..
وحين قمنا لم أكنْ وحْدى علَى الطَّريق
كنتُ مع الموتى الذين أحيتْهُم رُؤَى الصَّديق
مع الأحباء الذين سافروا بلا وداع
كنت مع الجميع ..
أميرتى لاتفْزعي لسحنتى هذا اللقاء
فإننى حين يهدُّ قلبىَ الِّلياعْ
أبكى بلا دُمُوعْ ..

* * *

- تحت الحمى

لاترفعى الستار ياعزيزتى ..
خلِّيه يحجب الذُّباب والدخان والغبار
يصيبنى الطّنين بالدُّوار
يثيرنى اللّون الرمادىُّ المذَبّذب المقيت
صبِّى لى الدواء كم أنا سأمانْ
أحسُّ أن شيئًا يوحشُ المكان
صراخ روحٍ مّا قريبة تموتْ
ديبُ خوفٍ يمشى إلَى البيوت
ألوفُ صلبانٍ تقام للألوف
دمُ نزيفٌ فى الطّريق ساخنٌ دمٌ نزيفْ
عزيزتى أين يسير بى الكلام !!
لعّله الأرق ؟ !
ومنظر الشّموع وهى فى السّكون تحترق
أوْ غنَّى أهْذى من الحمى بلا نظام
عزيزتى شدِّى على جسمى الدثار
وأبقى جوار فرشتى .
لاتتركينى قبل أن يُنَوِّر النَّهارْ

***

- عيد الزواج

اليوم عيدُنا ..
زيدى من الحلْوى وزيدى الكستناء
فسوْف يأتى الأصدقاء ..
يلتمُّ شملنا برغم البردِ والجليدِ والأنْواء
ماذنبُ عيدنا إن جاء فى الشتاء
نلبسُ للشّتاء معطفا ..
نسْمُر نحْكى نلتقى بإِخوان الصَّفَا ..
الأصدقاء الطِّيبُون دفء العمر
ظلّ العمر ..
لكنهم قليلٌ فى زماننا العجيب
فهو زمان إنسان صناعىٍّ جديبْ
تنقُصُه حرارة الإَخاء ..
أتسمعين عاد طفلنا إلى البكاء
قومى لنحكم الغطاء حوْل جسْمِه النَّحيلْ
فالبردُ غول ..
ماذ يَصُدُّ مْنه أرغبٌ عليلْ ؟

***

- من القرية

أحْرُفُ موَّال ..
سمعتها تكلِّم العيون واللّيالْ
شبَّ حريق فى فؤادِ عاشقٍ مغْلوب
فرَّقَهُ العدا عن الحبيب
جُنَّ من الحبِّ من الحبِّ أتفهمينْ
حين يُغيِّر ابن آدم الحنين
يشفُّه ينْزعُ منه جُزْءَ الطِّين
فلا يقولُ لايعيدُ غير مايهواه
ولايحسُّ وَجْدهُ سواهْ ..
نعو للموَّال غاب العاشقُ الحزين
لم يذكر الموَّالْ فى أيِّ البقاع قرّ ..
لكنّ راويه مغنّيه يردِّدُونْ
أن فتاهم عائدٌ مع الربيعْ ..
حين يطُوف طائف الهوى على الجميع
ثمة لايضارُ عاشقٌ على جنون
والكلُّ عاشقون ..

* * *

- برعم

تأمَّلى ..
الزرعُ فى الأصيص شبَّ واستطال
وبُرْعُمُ الأمس ارتوى نما ..
في الظُّهر والنّدى عليْه مايزال
صُبْحَ غدٍ يكونُ قد تَبَسَّما ..
تأمَّلى ...
زبْنُ عزيزنا الّذى فقدْنا طلْعته
مرَّ علىَّ اليوم فارعًا كأنه أبوه
لمحتُ فيه صورته ..
جبهته عينيْه صوته وسمرته
واشتدَّ منكباه ..
كم سرَّنى هذا الصباح أنْ أراه
وأن أحسَّ أن الموت لايُفنِى الرجال
وأنّ روحًا مَّا سترجع الحياه ..

* * *

المسيحُ على الطريق

« في ليلة رأس السنة الميلادية لعام ١٩٦٤ »

زحامُ حانْ . .
مائدةٌ صغيرةٌ فى آخر المكان
سَهْرَتُنا يا صاحبى فقيرهْ
وظلُّنا على الجدار شاحبٌ هزيل
والأسْطوَانَةُ القديمة التى تُدارْ
مملَّةُ التــــكرارْ . .
لا بأس أن نأوى إلى ركنٍ لنستريح
أن نرسم ابتسامةً على الشفاهْ
أن نفتح الذِّراعَ فى شوقٍ إلى الحياه
انبسطت أو انطوتْ . .
فهل يخوننُا نشيدها الأثير ؟
وهل يهدُّنا المسير ؟

* * *

الناس مقرورون . .
يلتمسون الدفء فى الدّخان والشَّرابْ
ومثقلون يدْفَعُون الا كتئابْ
تحسُّ لحظةً كأنهم خلوٌ من الهموم
كأنّهم ماضيَّعوا يومًا على سراب

كأن كلَّ شيءٍ في عيُونهم بهيجْ
« في صحةِّ العشيقة الشقراء »
وفجأةً يطأطئون الرأس في وجوم ..
كأنهم مسافرون في واد من الضباب
الكلماتُ في حلوقهم نَشيج
وحين ينهضون يسحبون الخطو في كَلالْ
خلف زجاجِ الباب يربض الشتّاء
فمٌ يسبُّ البرد باصقًا على الملال ..
صدرٌ يجيش بالسعال ..
يدٌ تشد معطفًا مهترئًا على كتف
عينٌ ذليلة تقف ..
على حروف إعلان يضيءُ « بالنِّيون »
صدى يشقِّقُ السكوَن ..
عواءِ كلب جائع يجيءُ من بعيد
يمسُ جرحًا غائرا ..
يثيرُ حزنًا غامضًا في نفس عابرٍ حزين

* * *

أدرْ معي الأنخَابْ ..
في صحةِّ المرضي الذين يبْحثُون عن دواء
في رجعة الغيَّابْ
لي صاحبٌ عليل لا يغادر الفراش
ولي حبيبةٌ نأت بها الديارْ

دَهَتْ صروفٌ عطّلت مجالس النُّدمان
وأنْبتت مكانها الأحزان ..
يا أسفا على جدارٍ ليس فيه كوّتا ضياء
على مساء عيد ليّس فيه الأصدقاء
والضحك واقتَسام الخبز تعرف السَّهَرْ
والتبغة الأخيرة التى تدورْ ..
الحان لم يزل يستقبلُ الآتينْ
أعرف بعض الوافدين هذا - دقِّق النظر
ذو الشَّجِّ فى الجبين ..
محاربٌ قديم كان أجرأ الرفاق فى الخطر
تحت قميصه ملاحٌم تخطُّها النّدوب
لكنّهْ مغلوبْ ..
ساعدُهُ فى كُمِّهِ مكْسُور
خاطُرهُ مكسورَ ..
ككلِّ ظلٍّ فِى زماننا الحزين قام وانكسر
الظلُّ لايمتدُّ فى زماننا ..
فالحب لا يورق
لأن فرعه لايستوى بلاسلام ..

* * *

العذر يا صديق ..
أكاد أن أبكى على المسيح بعد ألْفَىْ عام
كأننى أراهُ مصلوبًا على الطريق ..

- أرق

ليلُ الشتّا طويلْ
ياويلِ من يقْضيه وحْدَهُ بلا خليلْ ..
يا ذلَّ من ناحتْ على شبَّاكه الرياح
وأيقظت فراشَهُ الأشْبَاحْ ..
نهضتُ أعْبُرُ الدجى فى مركب من الورق
على جزائر العمر الشَّريد طوَّفتْ
عند شواطئ الأحباب وقّفتْ
يا أيها الأحباب ..
بينى وبينكم ألفٌ من البحور والطرق
لكنَّنى حين يطولُ بى الأرق
آوى إليكم لائذاً بدفءِ كلْمةٍ حنُونْ
تقيلُنى من الغرق ..

- الأصدقاء والحزن

الدربُ ينْحنى ..
والنجمِ مصلُوبُ الشُّعاعِ فوق حائطٍ قديم
والحزْنُ زائرْ مقيم
الأصدقاء فى صمتٍ تقابلُوا بلا كلامْ
تفرقوا بلا كلام ..
كأنهم مُضيَّعُون فى متاهة بلا دليل
سرْنا مُفَزَّعين ساعةَ انْصرافنا
وارتجفتْ أكُفًّا باردةً - كجسد قتيلْ
من جوعنا كنَّا على الشارع لاَماء ولا طعام
من ليلنا الطويلْ ..
ومن كلاب الدرب تنبح السَّارى وتقْطَعُ السبيل
قال صديقٌ وهو يُرْدى حيَّةً فى جانب الجدار
كادتْ تهمُّ بى ، انظرْ ، تموتْ ..
أوْمأتُ بابتسامة كان الكلامُ لى ..
وانعرجِ الطريقَ بى إلى زقاقىَ البعيدْ
مشيتُ فى رأسى الكليلِ فكْرتانْ
واحدةٌ من الظلام سوداءُ الإهابِ كالظَّلامْ
والفكرةُ الأخرى من النَّهارْ ..

- صديق فى المعزل

له حكايةٌ ..
فهو هناكَ فى معازلِ المرضى كما جرى الخبرْ
يقالُ داؤهُ عضالٌ لَا أسميِّه ..
يقالُ داؤهُ سريعُ الانتشارِ مثْل النارِ فى الهشيم
يقالِ كاد أن يموت به ..
لكنَّ صاحبًا رآهُ من وراء سور المعزل البعيدْ
على الفم الوديع تشرق ابتسامه
وفى الجبين شمْخةٌ تفوق شمْخة الجبالْ
يا أيها النائى لك السَّلامة ..
أعلمِ أن طائرِ الكنار لا يسيغِ محنة القفص
وأن نَسْرَ الجوِّ لا يطيق أنِ يقَصِّ
وأنِ روحك الطليقِ لا يُحبُّ رقدة الفراش
لكنَّ هذا الليل بعْدهُ نهارْ
وأنت سابرُ الأغوارِ
تعرفُ أن جوهراً يُثْنَى فيثْنى ..
وأنَّ جوهراً يكشف زيفه اختبار
وأن جوهراً حراً يظلُّ أينما يكون
كما يظلُّ روحك الجرئُ ..
كما يظل قلبْك الدَّفئ والحنون
كما تظل أنت مشعل الأصحاب فى الغمار
معذرةً لقد نسيت أن أقول إننَّا بخيْر
والكرمة التى زرعتها تطولْ
كلَّ غدِ تطول ..

- صديق هاجر

أعدَّ رَحْلَهُ وسارْ
كان نقيَّ القلب طيِّب الجوارْ
وكان ضحَّاكًا مع الأسى
وشاعراً يهوى مجالس النُّدمان والسُّمار
ويبْسُط الوداد للزوَّار
أَحبَّ يالحبِّه رسَّمارآه فى كتاب
حسْناءُ مَنَ يلْمسْ رداءها يُعدْ مذلَّل الرغاب
- عيونُها نهرٌ من الحنان والأمانِ والأملْ
قال من الهموم أغتسلْ
- وخدُّها نورٌ وعطرٌ يهديان نحوها
قال كرهت عتمة المكان
- والشفتان تمنحان الشهد فى التكلُّمِ
قال سئمت علْقمى
- وتحت رجلها سهلٌ يفيضُ بالثِّمار والغدْرَانْ
قال لكم أنا جوْعَانْ ..
ذات مساء ودَّع الأصحاب واللَّيل الطويل
وسار لا يفلُّ عزمَهُ سببْ
ولا يردُّه تعب ..
ألم أقل لكم يا أيها الأصحاب إن الحبَّ
يصنعُ العجب ؟؟ !

- صديق انتحر

أراه خائفًا ..
ألمحه تحت ستار اللّيل هالعًا مرتجفًا
أسْمعهُ يُسرُّ للرفاق إنَّ دربْنا خطر
وفجأةً ينسلُّ فى الخفا ..
وتحت ضوءِ نجمٍ خافت السَّنَا ظهرْ
التمسوه فى الدُّجى كان اختفى
انتظروه لا أثر ..
وأدلجوا كان أمامهمْ أن يصعدُوا والجبلْ
وأن يطاردُوا الوحْش الذى أقضَّ نومهم
عكَّر ماءهم ..
واغتال فى الضُّحى أبناءهم ..
حين رجُوعهم كانتْ أشعةُ النهار تنبثق
تكشفُ جيفةً عجفاءَ عند مفترق
معقوفةًعلى الرِّمال
تجنَّبتها أَعْيُنُ الرفاق وهى تقفزُ التِّلال
وتلتقِي على الأفُق ..

- المخاض الثانى

حبيبتى فى الغُرْفة المجاورهْ
نامتْ لتَّوها مثقلةً تنتظرُ المخاضْ
هذا هو المخاض الثانى ..
مات وليدُنا الأولُ ساعةَ الولاد - يوْمها بكتْ
وهى تراه جثّةً ممدودةً على الفراش
وهمهمت فى جزع : لو عاشْ !!
هذا المساء كنا جالسيْن فى صمت إلى الشبَّاك
وشدّنا سرير الطِّفل ساكنًا بلا غلامَ
كنَّا نجانبُ الدنوَّ منه فى مكانه هناك
ودمعتْ وابتسمتْ فى آن ..
قالت أمرّ العام ؟؟
قلتُ وعاد الانتظارُ الحلو والأحلام ..
تجلَّدى حبيبتى ..
قالت نعم نحن أفدنا من عثارنَا المريرْ
وانطلقت إلى سرير الطِّفل تنْفَضُ التُّراب عنه
كانت يد النسيم تُرْقِصُ السرير ..

النـــــــبع

حين يجيءُ موْعدُ الزِّيارهْ
تَزْحمُ خاطري خيالاتُ الصِّبار الذى عبرْ
جريًا وراء التُّوت والفَرَاشِ والنوَّارْ
طيراً إلى دنى مجهولة الأسْرار
يجوبُها الأبطال ثم يرجعون ..
سلالهم تفيض بالثمار للإخوة والأحباب
أودُّ لوْ لم ترْمِ كرْمتى الأنواءْ
لو لم تَمُتْ حقولُ حنطتى فى الموسم الأخير
كى لا أزور إخوتى وسلَّتى خواء

* * *

أبى بوجهه الطيِّب عند الباب
فى مجلس الأصحاب ..
لَّما يرانى قادمًا على الطريق تكبر ابتسامته
تنير جبهته ..
يهمس باسمى للرِّجال صوْتهُ الرزين
أدنُو مسلِّما وأنثنى للباب شاخصَ الحنين
مبادلاً أمِّىَ قُبْلة الجبين ..
معانقًا أخى التوْءَمَ فى محبَّة السِّنين

مُقَبِّلاً أصابع الصغارِ النيِّئَهْ
نقْعدَ حولْ المدفأه
حتى يعود الأدبُ من مجلسه الأثير
بينا يدورُ الشّايَ ..
يسمعنا خطاب أختنا فى القرية البعيدة
يلوذ أصغرُ الإخوة بى ..
يسألنى ألف سؤال حائر برىء
بصوته الالثغ الجرىَء
أحضنُ فى نْطلاقه المخضوضر السعيد
أطفال عالمٍ جديَدَ ..
لا يكرهونَ الدرب
لأنهم يروْن دنْياهُم بلا حدود

* * *

فى آخر المساء ..
أعودُ أدراجى وقد نسيتُ حسرة بكْماء
تساوِرُ الدماء ..
وحِينما يلفُّنى الطريق الجدْبُ والشتاء
ألمسُ رِيح دفء ..
أحسُّ أن سلتى غنيةٌ بشىء

أغنية للطفلة

« مهداة إلى ابنتى مها وهى تبدأ عامها الثانى »

تبسّمى تبسّمى
ولتنهضى أو تستريحى فوْق معصمى
ولتنْطقى (بابا) و (ماما) نطْقَك الغرير
قد سويّا من الضُلوع مهْدكِ الصّغير
من قطْعة الفُؤادْ ..
شقًّا لكَ الفرَاشَ والغطَاءَ والوسادْ
يا أُنسنا عنْدَ السّهاد
يا دْفئنَا والليلْ شتوىٌّ بغيْر أنجم
ياظلّنا مع الهجيرْ ..
أمّك قالت وهى تُطرى حُسْنَك النَضير
« لقد سبْقت وردة الخدّيْنِ من دَمى »
وقبّلتْك فى الفمِ ..
صغيرتى أبوك يعشق الوداد
يَهْوَى مؤاخاةَ الصِّحابِ مُنْذُ شبّ
يدفع فى اجتماع الشَملِّ قرشه الوحيد
يحب من فى قلبهم حبٌّ وفى يديْهم حب
ويكره الخوّانْ ..
ومن يدسّ السّمّ فى مجالس الخلاّن
ولستُ أنبلَ الفرسان ..
لكننى جَهِدْتُ أن كون واحداً من الذين يثْبتُون

من الذين يحملون شمعةً للمُدْلجين
أو راحة للمتْعَبين ..
أوْ قوة للطَّيبين الرَّاعشين فى الرِّياح
بلاجناح ..
جهدت أن أحيا من الحرَّاس لا من السُّرَّاقْ
وكم ربطتُ البطن بالوشاح وابتسمت
مخافة الوجه المراق
وعندما شهدتُ كيف تنحني الرُّءوس للهوان
رجعتُ زاهداً فى منحة السلطان
ولم أمت لأنَّنى مشيتُ فى الصَّفِّ الأخيرْ ! !
صغيرتى غداً فى عمرك الطوَّيلْ ..
ستفهمين ما أقول ..

* * *

غداً ستكبرين ..
وتبْحثين عن فتاك من بيْن الرِّجال
جريئة بلا خيالْ
لن تملأ السدُود دَرْبك المنوِّرَ الوليدْ
كما بَلَوْنَا نحن فى اجْتياز درْبِنَا العجوز
وفى بناء عشِّنا ..
فليتعقَّبْ خَطوَك المَاءْ
ولتتوسَّطْ أفقك السَّعيد نجمة الرَّخَاءْ
وليكنْ العزاء للَذين يحرثون اليوم فى الظلامْ
أن يجنى العالم السلام
من أجل كلِّ طفل وافد جديد ..

إني معـــــــك

كأنما تنفَّس الشَّجر ..
واستَوَتْ الكرومُ للقطافْ
كأنما غنَّى كنارٌ متْعَبٌ من الطَّواف
أغنية الرجوع من سفر ..
كأنما تبسَّمت برعمةٌ للَمْسة المطر
كانت سجينة الغلافَ

* * *

علَّقتُ قَلْبىَ المشوق بالحروف
وكدتُ أستشفٌ مطلع النٍّجوم والقمر
من خلف عتّمة المساء ..
أشلاءُ قاربِى التى همَّ بها الفناء
رأيْتها تلمٌّها نسائمٌ عطوف
سحريَّةُ الأثر ..
حركتُ مجدافى وخُضْت موجة الخطر
صوْبَ شعاعٍ بارق ظهر
كان يرف صوتُها فى أضْلعى مع الوجيب
بأنَّها معى ..
وَأنَّنى أسير نحو شاطىءٍ قريبْ

* * *

أميرتى أطلْت الانتظارْ ..
عامٌ يجرُّ العام لم أغمضْ ولم أملّ
كنت أراك طول هذه السنين
حزينةً وراء حائط القصْرِ المكين
ودُونَنَا العيونُ والحرَّاس
وهمهماتُ النَّاسْ ..
لكننى صمعتُ عيْنى كُوَّةً وجئْت
أقمت قلْبى سلَّما وجئت
ما أجمل اللَّقاء ..
أميرتى أعود قبل مقدم النهار
أمشى وصوتك الوديع فى نفسى يظلّ
حتى تزول بيننا الجدران والأسوارْ
ينمو ويورِقُ الأملْ ..

الطيف

وَقْعُ خُطًى تدنُو . . حسّ ..
من ذَا يهبْطُ فى هذا الوَقْت من اللّيْل ؟ !
الدَّرْبُ بلا مصباح عتّمه
والأفقُ على كلٍّ شعاع غيْمهْ
والصَّمْتُ يحطُّ علينْا خَيْمه
من ذا يقتربُ يكادُ ينمُّ عليه الْهيْكل
يقصدُنَا يا أصْحابى الطَّيفُ المقبلْ
يدْعُونا يا للنَّبرةِ تُومضُ ملْءَ النَّفْس
هذا خلٌّ فارقناه بيوم تباريخْ
آتِ وَسْطَ الرِّيح

* * *

غرفتنا قاتمة الجدرانْ
معذرةٌ فالكوّة لا تسمح بكثيرٍ من ضوْء
وحديقتُنَا ليس بها فَيْء
فالعامْ قليل المطرِ عقيم الأغصان
لا بأس إذا ضاقَ بنا الكونُ الرَّحْب
يتَّسعُ لنا الحبّ ..
هو نجمتُنا فى اللّيل الممتدِّ بلا نور

وجبيرةُ خاطرنا المكسور
هو مَهْجَرُنَا ..
اجلسْ - ترتعدُ كأنَّك مقرورْ ..
أشعلُ نَارا ؟
السفر طويلٌ هلْ سلَّمت على كلِّ الأحباب ؟
كنا نتلمسُ خبراً منك ..
خبراً عنك ..
ماذا ؟ كف تخبطُ فوق الباب !
أو تمضى الآن ؟ !
يا أسفاً ما شبعتْ منك العينانْ
ما كلمَّت الإخوانْ
حتَّى اللُّقيا ياللزّمن الممرور بلا قَلْب
لا تجزعْ هذا زمن إله الحرب
اذهبْ ولْتَرجع يوْمًا
إنى أسْمع عند الأبراجِ هديل حمام
نجواهُ سلامْ ..
يتعجَّلُ يوْم الغيْث ليخضرَّ الجدْب

باسْمك أتعبَّدْ ..
أجثُو بخَشُوعى عنْد العتباتْ
بجلالك أنقشُ كلَّ شبابيك المعْبد
وأرى اللّه وأنسى الّلات ..
ضمَّخْتُ جبينى بالمسك توضَّأتُ بماء الحب
كفَّرْتُ ذنوب الدَّرب ..
صمتُ ثلاثة أيَّام بلياليها فى بابك
عذَّبْتُ فؤادى بالوجد ..
كَىْ أصلَ إليك إلى السِّرِّ الخافى المكْنُون
فعسايَ أكون ..
عبداً مرْضيًّا من سدنتكِ وحُجَّابكِ
يهْواك علَى بُعْد ..

* * *

فى حجِّى لمقامك سرْت
ألفُ نهار قدَّامَى وورائى ألفُ نهارْ
مرْكبتِى الإصرار ..
زادِى وشرابى أملُ الرُّؤية دُون ستَارْ
كم جرَّحنى الشوْك على سلَّمك الصَّعبْ
لكنىِّ جئتك ممُسَّ القلْب

ياحسن الطالعْ ..
اللَّهَ وقد وافق نجمى موكبكَ السَّاطع
سرْتُ أهرولُ خلف الرَّكْب وأهتفُ بِك
أتلمسُ فى الزَّحمة فَضْلة ثوبك
ياحبِّي وظفرتُ بنظرتك لوجهى المبْهور
آمنتُ وصدَّقت ..
من ساعتها وأنا حارسُ معبدك الطَّالع
بستانيُّ حديقتك المختار
جامعُ أثمارك مالىءُ أكوابِك للزُّوار
حقٌ عليَّ النذْر ..
أن أتْبعك وأقف على خدْمتك العمر
وأصلِّيَ لك فى الشِّعر

* * *

- كونى دفئًا للمقرور
ظَهْرًا للمغلُوب المكْسور الظَّهر
قمرًا للملاَّح التَّائه فِى قلْب البحر
ماء للظامئ فى الصَّحراء ..
سقفًا للنَّائم تحت جدار عريان
أُنْسًا للمغترب بلا خِلاَّ ن
مأوىً للمطرودْ ..
- كونى ثدْى لقيطٍ فَقَدَ الأبوَيْن

نشوة طفلٍ يخطو أولى الخطوات
زَهْوَ شبابٍ يصنعُ حبًا ..
تاج عروسٍ راضية النَّفس
حكمة شَيخٍ تُغْنيه عنْ زمنٍ فات
- كونى سلْوة أسْوَانْ
يُسرَ مخاضٍ امرأة تلدُ بيأس
أمْنَ حماماتٍ تَحْضُنُ بَيْض الفقسْ
سُقْيا حقل عطشانْ ..
باب كنار فى قفصٍ أضناهُ الحبْس
- كونى ضَمَّة كفيْنِ على ودّ
باقة ورد فى فَرْشِ مريضٍ متوحِّد
شوْق عزيزٍ مهزومٍ يتجدَّد
غوث صريخٍ ملهوف يستنجد
قبضة مظلومٍ تخترق القُضْبانْ
- كونى فى كلِّ مكانٍ وزمانْ
عونًا للإنسانْ ..
سعداً ورخاء للإنسانْ ..
مجداً للإنسان ..

٣ - أغنية الخيل والأسهم والدم

خلف زجاج الشرفة ابتدأت يومى الفارغ
أرقب من مكانى الشارع الذى صحا لتوه دماج الناس
والــترام والحافلـة المكتظَّــة
والفتيـات فى ملابس المــدارس والضفائر ..
الحقائب الصغيرة
بائعة الجرائد .

بُـــرْدِيَّـــة

أبوحُ ... أولا أبوحْ
شموعها مطفآت وجفنها مقروحْ
الريح فيه تنوحْ
تبكى مع الريح ... تبكى حبيبَها المذبوحْ
* * *
إيزيس قد قتلونى
غدْراً وشادوا قصوراً على دمى المسفوحْ
لكننى فيك أودعْتُ طفلنا قبل أن أروحْ
حوريس وارث اسمى
ربِّيه حُراً جريئًا وأرضعيه الجموحْ
ليستعيد مروجى من قاتلِى المفضوح
يخضرِ حقْلُ ويجرى نهْرُ وتغفو جروحْ
إيزيسُ .. لُمِّى عظامى
وكلَّ أشلاء جسمى الموزع المطروحْ
وعندها فلتغنى بلا حداد أمامى
ثم اغرسينى فروعًا علىَ الذرا والسفوحْ
ترين حوريسِ ألفَا
تريننى عدْتُ جَيْشًا بكل فجٍّ يلوحْ
تريننى عدْتُ عطراً من كل زهرٍ يفوحْ
* * *
وكل مامات فيك ندبٌ فيه الروحْ

الرؤيـــة أو المـــوت

أنْشُدُ فى هدْأة البريَّهْ
عبَر الشام منَ الطيبِ
يدلّنى على طريق محبوبى
أتبع آثار أقدامه الرقيقة الورديَّهْ
حفيف ثوبه على المسارب الرمليَّهْ
أسأل عنه شجر الصمت فى التلال والكثبانْ
أعتاب الكهوف والقيعانْ
وأسال الوحوش والنسورَ والعقبانْ
والقممَ الصخريَّهْ
أسردُ أوصافه أمام الصبية الرعاهْ
فى المنابت العشبيَّهْ
لعلنى أراه قبل مهبط الغروبْ
لمحًا .. لعلنى أجىء باب الروضة النديَّهْ
ويستقرُّ طائرى المعذّبُ المشوقْ
فى ظلالها المسْكيَّهْ
ناديته أجابنى رجَع الصدى الرهيْب
واشتبهت دروبى
ولم أزل أوغل فى الرابع الليليَّهْ
أصرخْ : يا منازلَ المحبوبْ

ها أنذا يقودني اليك الوجْدُ حافيا
وعاريًا وصادق الطويَّهْ
فا فصحى عن سرِّك المحجوبْ
أو علّميني كيف أسلو رق عشقك الذى
فتح لى منافذَ الحريَّهْ

* * *

يا مَنْ رأى محبوبى
خذنى إلى عيونه الدافئة النهريَّهْ
أسبح فى فيروزها العجيبْ
وأسهر الليالى تحت هدبها أصدحُ
بالغناء والتطريْب
وأكشف المحاسن الفريدة الخفيَّهْ
خذنى إليه أبتدى ميلادي الجديدَ فى
جواره وأستعيد الرسم والهويَّهْ
ودارى المنسيَّهْ
وإنْ سقطتُ قبل أن يكون لى مطلوبى
.. فَحُطَّ فوق شاهدى قبر فتى غريبْ
جفا فراشه وزاده وهام يطلب المحبوبْ
حتى ضاع فى شعابه القصيَّهْ

* * *

نهـــر فـــى الجبـــل

أضرب فى البريّةْ
أنشدُ فى هدأتها وعمقها الرحيب
عبير الشام من الطيب
يدلّنـــى علـــى طريـــق محبوبـــى
أخطو على آثار كعبه الرقية الورديّهْ
أصْغُى إلى حفيف ثوبه على
المسارِب الرمليَّه
أسأل عنه شجر الصمْت فى التلال والوديانْ أعتاب الكهوف والقيعانْ
وأسال الوحوشِ والنسورَ والثعبان
والقممَ الصخريَّـــهْ
أســـردُ أوصافـــه أمام الصبية الرعاةْ
فى المرابع العشبيَةْ
لعلنى أراه قبل مهبط الغروبْ
لمحًا .. لعله يسمح بالمثول فى حضرته البهيّةْ
ويستقرُّ طائرى المعذّبُ المشوقْ
فى ظلالها المسْكيَّةْ
ناديته أجابنى رجع الصدى الرهيْب
واشتبهت دروبى
ولم أزل أوغل فى المرابع الليليَّةْ

أصرخْ : يا منازلَ المحبــوبْ
هأنذا يقودنى إليــك الوجْــدُ حافيا وعاريــًا
وصافىَ الطــويــَّـهْ
فأفصحى عن سرِّك المحجوبِ
أو علمّينى كيف أسلو رق عشقك الذى
افتحى لى منافذَ الحريَّهْ .
كى أستعيد الاسم والهوية
ودارى المنسيَّهْ
فإنْ هويت دونه - كم اغتديْتُ فى شذى أنفاسهِ
وثغره الرطيب
منذُ كسرْتُ قشرتى الطينيَّهْ
وأخذْتُ فى دروبه تخوم العالم المحدد الرتيب
فحطَّ فوق شاهدى مثوى فتى غريبَ
جفا فراشَهُ وزادَهُ وهام يطلب المحبوبْ
حتى صار فى بطاحه القَصيَّهْ
حكايةً مرويَّهْ
تهمسها الرياح للرياح والطيور للطيورْ
والكثيبُ للكثيبْ

* * *

الشــوارع الرماديــة

مَشَيْتُ فيها شارعا شارعا
أنشدُ شيئًا ضائعا
ومثلما حسرتها منازلاً حسرتها مطالعا
ثم أتيْتُ راجعًا أجرُّ ذيل الاغترابْ
وأمضغ السرة والسيابْ
فى الركْين من خمارة قديمة رخيصة الشرابْ
فى شارع الحبِّ لقيتَ الألسُّنَ المطليَّهْ
بالكلمات المغزلات الرقة والفطانة العصريّهْ
ووردة بيضاء فى الباقات والصدورْ
تعيش ساعة ثم تموت بين الاسترخاء والجشاءْ
رأيْتُ روميو يرسل النكتة بين الندماءْ
وهو يدس فى قميصه المشجَّر الحرير
لقاء بيعه جولييب
للمغرم الثرىّ حفنتى أوراق بنكنوت
رأيْتُ ليلى العامريّهْ
تحمل طفلين يجرها وهى تمدُّ وجبة العشاءْ
لاحقةً بزوجها التاجرْ
وحين تخبو النار تحت الشاى آخر المساء
تلقمها شعر حبيبها الشاعر

ثم تغنى غنوة بلهاء سوقيَّهْ
فى شارع الفروسيَّهْ
طالعْت رسم الخوف يملأ السقوف
والجدران والعمدانْ
وفى الطريق كان قاتل جبان
يكمن فى الظلام كى يطعن من خلف بلا مقاتله
وغاص نصله فى ظهر عابر جبانْ
وسير الرجال والمبارزان « كان يا ما كان »
عنترة وعقبة وطارق الأندلس الهام
تضمهم مخطوطة صفراء فى رفٍّ كأنه كابوتْ
تحت عظام دون كيشوت
فى شارع الحكمة كان العلماء والمهرجونْ
والشعراء ورجال الدين والقانونْ
يجتمعون فى وليمة سرّية أمامها السلطان
وبعدما يقتسمون ثمن الكذب الجهرىِّ والسكوتْ
يستلهمون خطب الصنائع الخصيانْ
وحين يصدِر الحكم بأن يموتْ
سقراط والمسيح وابن رشد خشية على الرعاع
وأن يُجَرَّ من ثيابه أبو العلاءْ
لأنه فى مجالس الأشراف لايجيد الاستماع
يصفقون حتى تسقط الذراعْ
ويوجزون حكمة الحياة فى الرضى والاقتناع

وفى اتباع ما عليه بعقد الإجماعْ
فى شارع السلامْ
ساءلنى التتار ساعَتّين قلبوا الجيوب والخراجْ
وبعد أن تثبتوا أنى بلا سلاح سجلوا رقم بطاقتى
وأطلقوا خلفى كلاب الصيْد فى الظلام
وفى الحقول فى المستشفيات فى مدارس الصبيان
سمعْتُ لكْنَةَ التيار تُثْقل اللسانْ
وفجأةً فكرت أن أعود لولا شدّنى إلى الأمام
مشنقتان قامتا وجثّتانْ
وإذْ دنوْتُ منهما عرفْتُهُ ، كان يطل فى الوجهْينْ
لكنه هنا فتى غرير يكمل العشرِينْ
وهو هناك شيخ طيب يقارب الستين
بكيْبُ جيفارا العزيز مرتين
لأننى شهدته فى لحظة يُقْتَلُ قتلتين ! !

* * *

التمساح والمدينة النائمة

« أسطورة مصرية قديمة وجدت ضمن برديات
شاعر مجهول من الأسرة الثالثة عشرة »

رَبَضَ التمساَحُ البرىٌّ على أسوار مدينتنا
فَتَح الفم يتثاءب فتساقطت الأشجار وجف
الزرْعْ
شال الذيْلَ وحطّ فَدَكَّ الساحات الأربَعْ
زَعَقَ فلُذْنا بالأركان وَجَمدَتْ عيْن فى عيْنْ
رحماك وغفرانَكَ رعْ
نحن جناة خطاءون أكلنا وشربنا ألَمنْ
أنقصْنا المكيال .. قتلْنا .. وزنيْنا
وتركنا زَيْتَكَ يلعقه الكلْبُ وينسل فيه الثعبانْ
وخرسْنا عن كلمةَ حق فى وجه الشيطانْ
وتناسينا غضبك حين استدفأنا بالصمت
حين مضغنا زيف الحكمه
ورضينا عيش الأشباح بعيدا عن خطر الموت
ها هوذا يدهمنا الموت المفزعْ

* * *

الوحش له رأسان ولاتُحصى الأذرع
يتربص بالماشين يمينا ويساراً لا يترك أحدا

صَهْ ... لاترفعْ صوتَكْ
حرّاس البوابة هربوا منذ الليل الأول
ومدينتنا نائمة فى حضن الخوف

* * *

غضبت ريح البئر وجُن الظمأ الملعون ! !
فتمنّعنا زمنا ثم شربنا خلف الكتبة والكهان
وحملنا الطاعون
ولأنا لم ندفن موتانا حق علينا أن نُدْفَن أحياء
لَعَنَتْنا الأرواح الطيبة بكل سماء
« نفْرى » خرجت من مخدعها عارية الصدْرْ
محبوبتنا .. بنت الربِّ السمراء
حلّت عقد ضفائرها فتدلى كنز الشعر
جاءتْ حافية القدمين بلا خُفّ
صرَخَتْ : « يا عشاقى بالمائة وبالألف
مازالتْ فى أذنى من كُلٍّ منكم كلمات
الحبِّ الأجْوَفْ
وسباقكم اللفطى لنيل رضاىْ
إنى جئتُ لأبحثَ فيكم عن رجلى المختارْ
وأنا واهبة نفسى لجرئ يتبعنى نحو
السور المقفل
ويخلّصنى من شهوة هذا التمساح البرىّ

وانطلقت كالإعصارْ
لكن لم يتحرك منا أحدٌ .. أطرقْنا ..
وتصبّبْنا عرَقا
ثم سمعنا .. بصقتها تصفع صدغ الليلْ

* * *

أيتها الأشباح المرتعدَهْ
ماذا قد فعلَتْ فيكم أيام الرعب الأسودْ ؟
إنّى ألفيْتُ الوحْشَ الرابضَ فى داخلكم
منذ سنينْ
جلدا ميْتًا مشدودًا فوق الحائط .. وهمًا أجْرَدْ
فاصحوا إنْ كان لكم غَدْ

* * *

الكوابيس

أهرب فى القرص المنوِّح اللعينْ
أضاعف الجرعة .. كى أخرج من نفسى ..
من السخط .. من الحنين
وأشترى بقرشىَ الأخير ليلةً من العدمْ
لأننى شعرت بعار العصر واندفعْتُ بالندمْ
حين رفضت أن أشربَ من نهر الجنونْ
لكنها تتبعنى تطلق خيلها علىّ كلما غمضت
هذى الكوابيس التى تطرد أنى أينما أكونْ
تجلدنى يشيلنى جناحها الأسود للنسور والذئابْ
تشبع من لحمى وتترك الفضلة للذبابْ
ويجمد الصراخ فى فمٍ مهشمٍ يسيل فيه خيط الدم
وهكذا أظل لعبة الممات والمعَادْ
كأنما يسلمنىَ العُقاب للعنقاء والعنقاءُ للعُقابْ
يقتلنى أخى قابيل كى يرقد فى فراشى
لكنه يكاد أن يجن إذ يرانى ساقطا بلا جوابْ
حتى يدلّه الغراب أن يوارى الجثه

* * *

يضُيعنى أبناء أمى وأبى فى البئر لا
يرتجفونْ

وحين يجدون أننى خان مصر يسجدونْ
فى حضرتى وينتفون الرأس واللحيه
يُسْلمنى يهوذا لليهود بائعا لقاء صاع فضَّه
وقبلما يشدنى على الصليب أنزف العذابْ
يفتل حبل الاكتئاب مشنقه

* * *

يكيل لى القضاة المتخمون تهم الزندقه
وعندما أحرق بين كتبى يبرأون من دمى

* * *

يسألنى الواعظ ما أقول قبل أن ينفذ الإعدام
وبعدما يرتعش الرأس البرئ فى الهواء
يُسر ما يعلن من براءتى .. لزوجته

* * *

يخرجنى الرومان بالقوة من دارى إلى
الطريقْ
وإذْ أراهم يبتسمون من ثمار كرمتى الولود
يكتتبون لى ويجمعون من أجلى التبرعات

* * *

يمدّ لي السلطان كأس السم آخرَ الوليمَهْ
وبينما أذهب لاعنا تدبيره الغادرْ
يقيم باسمي شارعا في وسط المدينهْ !!!

* * *

أكتم في الصباح صوت الجرس الصغيرْ
ثم أقوم مكدودا ومثقلاً بالسأم اليومي
والصداع
أمسحٍ آثار دموع في الجفون لم تجف
عضّته نصل طائش يخرق بطن الكف
لسعة نار في الذراع
وكارها مفزعًا أهبط أرض الجوع والشهوة
والتبرير
أخوض عصر القتل غيلة بلا ضمير

* * *

رحلة فى مملكة خرافية

مشيت فيها شارعًا شارعا
أنشد شيئا ضائعا
ومثلما خسرْتها منازلاً خسرنا مطالعا
ثم أتيْتُ راجعا أجرّ ذيل الاغترابْ
وأمضغ الحسرة والسبابْ
فى الركن من خمارة قديمة رخيصة الشرابْ

* * *

فى شارع الحب لقيت الألسن المطليَّهْ
بالكلمات الغزلات الرافلات فى الأناقة العصرية
ووردة بيضاء فى الياقات والصدور
تعيش لحظة ثم تموت بين الاسترخاء والحشاء
لقيت روميو يرسل النكتة بين الندماء
وهو يوش فى قميصه المشجّر الحرير

* * *

مغامرٌ قديم
تجذبنى المدائن البعيدة التخوم
دست على الكنوز وانطلقت أرصد النجومْ
أستنبت الأزهار فى آنيتى الصغيرهْ

ودائما أسأم ما اعتاده كأنما يُعْقمه الزمان
إلاّ الولاء للإنسان

* * *

أبحر في عينيك إذ تغضين
أذهب فيهما إلى شواطئ مجهولة الأسماء
تَهْمِسُ لي ثاتي ربانها الوحيد
أنضو هناك ثوبيَ القاتم قبل أن أعود
وأستحم في مياهها
مثل صبيٍّ راعن لا يعرف القيود

* * *

ذات مساء
مرضت في وحدتي الخرساء
فشالني نجم مسافر إلى مخدعك الوثيرْ
وبتُّ في البستان تحت ثمر الفواكه النضيرْ

* * *

لا تبتعدْ فقد لبثنا قبل أن تجيئ
مغتربيْن في بلادنا
حتى عرفنا الدار في مفرقك الوضيئ

* * *

نحن معا

ووهج النار فى المدفأه
يشعل وجهك الحلو برغبة مفاجئهْ
فلنعترف ذاب جليد الخوفَ
ولنلق عنّا وهمنا السقيم .. الناس والأنام
ينحسر الغلاف عن جذوتنا المخبّأه

* * *

نّدية أنت كألق الصباحْ
شذيةٌ كورق التفاحْ
قوية مثل إلهة تحرك الأعداء كيفما تريدْ
ضعيفةٌ ضعف فراشة تحرك الجناحْ
أما أنا فشاعر شريدْ
يتبع معنى الضعف والقوة والجمال فى الوجودْ

* * *

أشرب من كرمتك النبيذْ
معذرةً إن كنْتُ قد أقلقت نومك اللذيذْ

* * *

لاتسألى ما آخر الطريقْ
إنّا هجرنا الطينىً ساعة الشروق
ومَنْ يذق حلاوة الرحيقْ
يَمُتْ شهيد حبِّه لم تعنه الحدودْ

فَلْنَمْضِ في تجدّد الأنهارْ
كيلا تجفَ في مكاننا كالشجر القَعيدْ

* * *

فوق غصون البرتقالْ
حيث حفرنا يا حبيبتى اسمينا على اللحاءْ
يمامة تهدل بانفعالْ
كأنها تدعو أليفها للحب ليلة اللقاءْ
أتسمعين يانَوْرستى البيضاءْ ؟
أتسمعين ؟
أتسمعين ؟

الطمأنينَـــهْ

« الطمأنينة ألدُّ أعداء الإنسان »
(شيكسبير)

أيتها الطمأنينَهْ
ماذا تخبئين تحت سطحك الأملس الكاذبْ ؟
غير فطر الاعتياد والعفونَهْ
أكره أن أراك على ملامح الخليلة الجميلهْ
منذ أتيت مرة بآخر المساء
تطوقين وجهها فى النوم بالهدوء والسكينه
وكنت ما أزال بعد أن سقيت كرمها وأخلدتْ
إلى النعاسْ
مسهداً موزع الإحساسْ
وظامئًا بقربها تنوشنى الوحده

* * *

أكره أن أراك ترتجفين
بأعين الرجال تعلنين شارة التكيف البليدْ
تعكسين صورة الترهل اللعينه
حين يصيب الروح
فتدمن التسليم والرضى وينتفى الحماس والسخونَه
وتفقد النسور قدرة التحليق تنتهى تموتْ

فى حظائر الدجاج مستكينَهْ

* * *

أكره أن أراك
فى نشرة الأخبار تنقلين أبناء الأمان
للجياع فى المدينَهْ
وتدينهم بالعدل والرخاءْ
بينما يجوبُ الفرس والرومان والهكسوس فى أرجائها
وينهبون ما يتاح من كنوزها الثمينَهْ

* * *

أيتها البحيرة الراكدة المسكونَهْ
بالطين والحصى والسمك الميت والطحالبِ
الهزيلة المسنونَهْ
أفزع منك أشمئز من ضعفك ومن سكونك المريبْ
فألتمس صراحة البر وجرأة التيار فى أمواجه
الضارية المجنونَهْ
تحرّكى تعذَّبى بالمد والجزْر انهضى وجاوبى
عواصفَ الرياح قاومى تقلب الفصولْ
إنْ شئْتِ أن ينطلق البركان من قاعك أن
تكتشفى قوتك الدفينَهْ

* * *

العطش فى البحر

فَلْنَهْربْ
أنا لا أسمع صوتك فى ضوضاء المشربْ
لا أبصر وجهك تحت عيون الضوء الصفراء الزرقاءْ
الأصحاب ابتدأوا الرقص ككل مساءْ
حينًا ويميلون إلى مائدة الويسكى والكافيارْ
يتجشّأ مجلسهم ضجر السهره
يا فيتنام الإنسان الحرب الذرّهْ
ورباط العنق الجيد
والأحذية وأقمشة الصوف المستوردْ
وفلانٌ كان ... فلانٌ صارْ
بينا نحن نكون قطعنا الشارع تحت الأمطارْ
فرخين وحدين بلا ريش وبلا منقارْ
كسرت قلبهما الريح

* * *

صاحبتى حين حوتنا الغربه
وحوانا الكرسىّ الواحد ناحية الشرفَهْ
سرّتنا كلمات ساذجة قلناها فضحكنا
وأطلنا النظر إلى نجم مرتعش فى إعلان نيون
لكنَّا .. لم نتبين أبواق السيارات ولارائحة
البنزين
حين تقاسمنا كوب الليمونْ

ثلاث قطرات دم

١ - صورةُ

على الجدار فى غرفته التى
كنت أزوره فيها قبيل غيبته
قميصه المثقوب عند صدره حزامُهُ
رباط عنقه .. أزرار سترته
تقسَّمَتهَا بقعَة غزيرة داكنة من دمه المنثور
تشى بعمق جرحه المميت فى الميدانْ
وسط ساحته
أتوق - كلما أراها فى مكانها - لصوته الجسور
وعندما تعبر عيناى الإطار الأسود الباهت نحو صورته
أعجب من تفجّر الحياة ملء بسمته
أخجل تحت وقع نظرته

٢ - أسى

من أين تأتى أيها الدم المراقْ ؟
من لبنان أم إيران أم من العراقْ
أم من مخيمات اللاجئين الحالمين بالوطن
من أين تأتى كل صبح ساخنًا مازلت
ناشبًا فى خبز إفطارى وفى كوب اللبن
نكهتك الطاوية المذاقْ
وطابعًا بلونك القانى على الجرائد الملقاهُ
والأوراق والحيطان والمرايا
مآسيَ الضحايا
وأعينا طفلةً برئيته ساكنة الأحداقْ
لكنها تصيح فى وجهى وتلعن الزمن
تُراكَ دمُ مَنْ ؟
وحزْنُ مَنْ ؟
وجرْحُ مَنْ ؟

٣ - طقوس

لم يُنْجه قميصه الواقى من الرصاص
والحرس الخاص
وعندما أتاه الموت وهو فى أبهته السلطانْ
أجفل تحته الحصانْ
ألقاه عنه صاهلا وغادر المكانْ
طارتْ عصا الصولجانْ
وأطلقت بارحة حربيهَ
عشرين طلقةً بطيئة جنائزيهْ
وفرقةٌ من الجنود أقبلت لتودع الجثمانْ
حُفْرَتَهُ الأخيرة الطينيَّهْ
فيما عدا « الموظفين » والأعوان لم يجىء أحد
من الرعيهْ
كانت دماء قتلاهم تزورهم من خلل البيانْ
وأوسمةً على سوار الفتيان
زنبقة الحريه

الأرْزَةُ الباكية

لـبنـان لالوم ولا عــــتـبُ
لكن أسًى فى القلب يضطربُ
حـتَّـام والأيام مـوحـشـة
عن أرزكِ الممـراح تغـتـربُ
قُلْ للذيـن تفـرقـوا شـيـعًـا
هذى الذئـاب أتتكمـو تثبُ
أذكى عـــدوكـم الأوار دُجىً
وانسلَّ مـعـه عـسكرٌ لجبُ
يجـتـاح فى صلف مـنازلكم
وباسـمـكم يدعـو ويكـتـتبُ
قل للذيـن تفـرقـوا شـيـعـا
الأرز تحـت الـنـار يـرتجـفُ
والأرز أطفـــال بلا عـــدد
يجـتـثـهم فى الملـعب اللهبُ
وعـرائس تغـتـال فـرحـتـهـا
وحـرائر تـسـبى وتُغْـتَـصَبُ
قل للذيـن تفـرقـوا شـيـعـا
لا الموت ينفـعـكم ولا الغلبُ
إنْ كـان مزَّق صـفَّـكم سين؟
فلعــودكم مما جــرى سـيُـبُ

وتصـــافـحـوا دينار عــائلةً
فـالحب شـرع الدين والنسبُ
الـلّـهَ يـا لـبنـان كـم نَـزَفَـتْ
دمـاؤنا والـعـمـر ينْسـربُ !
هل ترجـع الأيام ضـاحَـكَـةً
والصـبح نحـو الأرْز يقتـربُ
ومـســاؤنا يضـوى به قــمـرٌ
ومــدلـهم الليـل ينســحبُ
مـــا أرزه نـبكي لمـوطنـهـــا
إلا ويصـلى نارهـا العـــرب
القـدس أصــبح قـبل تجـربة
ألفــا من الأقـداس تُسْـتَلَبُ
والظل يُصْلَب فى مــرابعنا
وديارنـا تُهْــدَى وتنتـــهبُ
لو ينهض الفرسـان من دمهم
لا استنكروا الروح التى وُهِبُوا
فـإلى مـتى يلهـو التــتـار بنا
والوقت عند البـاب يرتَقبُ ؟
إنْ أسكـتــوا أُمّــا لنـا وأبًا
فـــجـــراحنا أمٌّ لـنا وأبُ

* * *

يا أيهـــا الُنُّوامُ ويحكمـــو
هبــوا فـهــذا مــوقف رَهِبُ
ناديت للحـرّاس مـا سـمعـوا
سكروا ترى أم خلْسةً هربوا ؟

غبـتم إذ الميـدان مـحــتـدمٌ
وحضـرتمو إذْ لاحت الخطبُ
لاتفــخـروا بزمــان أندلسٍ
وبالـصناديـد الألَى ذهبـــوا
مــا أنتـم البــانون أنـدلســا
بل من جـروا دلوا وها سلُب
عـشقـوا الحـياة بسـالة وندى
وهواكـم الألقــاب والـرتبُ
الحق كـــان الهـــهم وبـكم
تتــألـه الأصنام وأُلنـصُبُ !
والصدق كـان عمـاد دولتهم
وعـمـاد دولتـكم هو الكذبُ
عاشـوا كمـا شاءوا لغـايتهم
وبضـعــفـكم تتندَّرُ الـكتبُ
العصر يعـجب من تخاذلكم
ورجـــاله فى الجـدِّ قـــد دأبوا
ما صحوا وأن تبـقوا بغفلتكم
لم يـنجـكم نـفْطُ ولا ذهــبُ

***

٤ - وداع الصبى ضاحك العينين

وداع الصبى ضاحك العينين

« صورة من (ألبوم) قديم »

هذا الصبيّ الضاحك العينيْنْ
أين مضى أين ؟
قد كدت أنسى أنني عرفته يوما
كما عرفْتُ نفسى !!
وأننا عشنا معا زمانا خاليا
لكنّه الآن أتى يَدْرُجُ مِنْ ذاكرتى الكليلَهْ
يعود بى إلى منازل الطفولَهْ
كأننا لم ننأ عن أعتابها إلاضُحى بالأمْسْ !!

* * *

ها هو مثل أمير فوضوىٍّ أشهب الجناحْ
تسبقه ضحكةُ عينيه إذ يحثّنى قبل الصباحْ
أن نلحق الندى ونستحمّ فى رذاذ الشمْسِ
ساعة الإشراقْ
لعلها تروى لنا أين انتهى بها غروبها الأخير ؟
وهل رأت بنات الحور يحتجزن القمر المأسور
ليلة المحاقْ ؟
ها هو ذا يعزف لى أغنية الخرير فى الغدير
أو يسردْ

لى حكايات السحاب والرياحْ
وهمسات السوسن النمَّام للصفصاف والكافور
كان لنا كرْم مفصل نجيئه بلا مواعيد متى
نشاء فى الغدو والرواحْ
نجت منه ألوان الفراشات التى تحطّ وتطيرْ
ونفْرط القمحٍ على أكفِّنا اليمامْ
وربما نسْمُرُ أو نرسمُ أو نقرأ فى كتاب الليل والنهارْ
محدّقين عبْر الأفق البعيد مُبْحرين نحو جزرِ
مملوءةٍ بشجر الأحلامْ
وكم جلسنا فى ظلال الحقل والبستان نُمْعِنُ الأفكار
حين غرقنا فى هوى راعية الأغنامْ
لكىْ نصوغ من سبيكة الأصيل عُقْدًا
يحفظ الأسرارْ
ومن لُجَيْنِ النهر أقراطا تبوح للصبيّة الصغَيرهْ
بأننّا نحبُّ قَّدها وخدها وعينها وفمها وصوتها
والشعْرَ والضفيرهْ ! !

* * *

آخر مرة رأيته يجلس تحت كرْمنا هناك
كان يحوِّل بيننا زجاج الشرفة اْلمقْفَلْ
قد كان يومًا غائمًا
وقام صاحبى يحنو على عصفورةٍ هَدَتْ إلى ثراكْ

يطلقها من الحديد مثلما يفعل دائمًا
ثمّ يلوح شاردًا كأنما يحسُّ حزنًا داهما !
لكنه حين يرى الغيوم فجأةً تفيض مطرا
يبشُّ وجهه لقطره المُنْهَلَ
أذكر أننى ظننته للَحظة خاطفةٍ يمدُّ
نحوِى النظرا
وأننى حسبته سوف يميل صوبى قادما
بْينا مضى مبتعدًا مهرولا إلى مرابع النخيلْ
وصار نقطة ضئيلة فى شفق الأفولْ
أذكر أننى ساعتها لبثت حائرا موزعا بلا حراكْ
وحين رفَّ من حولى ستارُ العتمة المَسْدُولْ
حملتُ فى صمتى حقيبتى إلى دربِ الرحيلْ
مشيْتُ دامعا وباسما
أخوض عمرىَ المستوحشَ الباقى فى شوارع
الليل الطويلْ ! !
يمرح فيها اللصُّ والتاجر والدَّجَّال والنخَّاس
مُخَيَّرًا ما بين أن أموت منفًيا بها أو
أنْ أعيشْ
نازفَ الضمير والإحساسْ
ها قد وُصمْتُ بالإلحاد بين الأنبياء الكذبه
لأننى خرَجْتُ من دائرة الولاءْ

ها قد جُلدْتُ بالسياط حتى الموت فى محافل
الأصنامْ
لأننى حين أطال فى التعبُّد الأقزامْ
وقفتُ أحصى جثث الجياع والغنائم
المنتهبَهْ
إنىِّ هنا مكبَّلُ يا أيها الأميرْ
تطنُ حولى غربتى كأنها ذبابه
وحشيةٌ سوداءْ
بيْنا تحاك لى بنود الاتهام والإعدامْ
عُدْ يا أيها الأمير أنتَ .. عُدْ لكوننا
المسحوره
اعْطِ العقود والأقراط للراعية
الصغيرة السمراءْ
واحلمْ بلا عساكرً ولاً حواجز ولا تخومْ
واجمعْ إذ أتيْتَ كرمنا هناك مًا بذرنا فيه
من مُنىً وما نثرنا من نجومْ !!

* * *

غناء تحت مشربية

زُرْنا تجد أهلا ومنزلاً سهلا
ولا تُطِلْ هجرنا وتُمْعِن الدَّلاَّ
فالحَب فى عُرْفنا وشَرعنا ألاَّ
تعودنا ساعةً وتختفى حوْلاَ

* * *

أواه يا ظالمى يصونُك المولى
أحلتنى ظلاً

* * *

أخاف غيب الفضا يدير وجه الرضا
ماذا إذا انطوى عهد الصبا وانقضى
والحسْنُ آياته أمست حديثاً مضى
ماذا إذا ما هوى نجمى وشقّ الفضا !
وحث عمرى الخطى وفجأةً ولّى
ولم أعش إلاَّ

* * *

أجاب رطب اللمى ودمعه قد هَمَى
قلبى براه النوى كشأنكم مغرما
كم رفّ فى أضلعى ونحوكم هوَّما
لكننى مرغما كففته كلما

قـــالـوا يقل الـهـــوى إذا ســـخـــا وصْـــلا

فزدتكم بخلا

* * *

يا خـلٌّ دعـــهـم كـــفـى مـــا زينـوا مَنْ جـــفـــا

الماء فـى نـهــــــرنـا وجــمـــرنا مـا غــفـا

فـامكث نهـيِّء مـعـا عش الـهـــوى والـوفـــا

يمرُّ غـــــــيـم بـنـا حـــينًا وحـــينًا صـــفـــا

رَنَـا نجّـــــــد نـدى ومـــقـلهَ كـــحـــلا

وقال ما أحلى

* * *

رحلة فى يوم مشمس

ها نحن الآن معًا .. والصبح صبىٌّ مرحُ
يضحك فى الطرقات يداعب كلِ المارين يُغازل
كل الفتيات بكلمات الحبِّ فيتوردْنَ
ويغضين ولكنْ
يتفتحن كنوار الحقل
ويلمعن على صهد الشمس الشتويَّهْ

* * *

جئنا فى الموعد لم نتأخرْ
جئنا فى عينَّى الشوْقُ وفى عينيك الرغبة والخوفُ
وطىَّ الثوب نخبِّئ كل تعاسات الماضى
المهزوم وكل عذابات الحاضر
كل أنين تصحبه آهات الوحدة والأحزان الليليَّهْ
ها نحن الآن معًا نملك يوما ، فليملأنا
ولتملأه بنا فَرَحَا
نشرب قهوتنا ثم نطير إلى نبع مأمون أعرفُهُ
نخلع فيهْ
عنا أقنعة الخجل المعتاد ونغسل غربتنا
حتى يتواصل جرحانا
دون حواجز وهميَّهْ

* * *

ولنتخاصرْ عريانَين ونبعثْ قبلاتِ للزهر
وَنحن معًا نتهادى
نحو الماء كآدم فى صحبة حواء وقد
سقطت أوراق التوت فراحا يكتشفان
الأرض سعيدَيْنْ
لنلعب ولنتشاجرْ
ولنتسابقْ فى إمساك البقع الضوئيَّهْ

* * *

هانحن الآن معا .. وجهك يتألق وأنا أعبث
فى شعرك
بشرتك يغنى فيها اللون الخمرىُّ أنت بحضنى
نهداك يرقان .. وصوتك يصفو يصبح جوقة عزْفِ
نارُك تشتعل وتتحد بنارى « نحترق معا
ونموت نولد ثم نموت ونولدُ
فى اللحظات العفويَّهْ

* * *

ما أنْت امرأةٌ .. لا
أنت خَميلة عطير .. بل شجرةُ لوْز مثمرةَ لابل
بركانُ .. بل إحدى مدن الشاطئ
أحلى مدن الشاطئ .. بل كوْنٌ مسحور أدخلُهُ
فأفكّ طلاسمه وأحرره
يدخلنى .. فيلقننى الأسرار الكونيَّهْ

من مفكرة بحار عاش

اعتزل الرفاق البحر .. أسلموا الرياحْ
همسهم إلى الجزائر العصيّه المستترةْ
وأودعوا الرمال والحصى موالهم للموج
لانبثاق النور خلف السحب المنتشره
لعنفوان الموت والبلاد فى العواصف المعتكره
للحظة الوصول .. للموانئ المنتظره
للدهشة الجياشة المستعره
ها أنا وحدى الآنْ
أقدح نار السهد والخواطر المنهمرةْ
أبحث فى الساحل عن رفاقٍ جددٍ وعن سفينةْ
إلى البعيد مبحرةْ
تغمز لى صبية الماخورْ
تكشف لى الإزار عن نهدين أبلجين أملسيْن
كالبللورْ
ومشرعين يضويان نورْ
أسهر فى أريج ريحها وهمسها المسحورْ
وعندما أنهض فى الليل الأخيرْ
تسلمنى ذراعها
وتستضيفنى للصبح فى مخدعها الصغيرْ

ترقص لِى عارية ثم تمدُّ وردها وفُلَّها على الفراشِ
فى تكسرٍ لذيذْ
تملأ لى سُرَّتها بالعطر والنبيذْ
رفافة واضحةً غامضةً كسطحٍ بحر
أغوصُ فى قرارها أوقظ كلَّ اللؤلؤ النائم فى محارها
أفتح شاطئ الكنوزْ
وحين يدرج النهار نحونا بخطوه الحنونْ
يلمح نجمتين طفلتين فوق صدرها ونجمتين فى خدودها
ونجمتين فى العيونْ
تقول لى : « عدنى بأن أراك فى المساءْ »
يا قطتى الصغيرة البيضاء قد أكونْ
أقلعتُ بين زرقة الماء وزرقة السماء
سنلتقى إن التقينا صدفةً بغير موعدٍ
كذلك اللقاء

* * *

لستُ أمير البحر أو من الربابنهْ
ولستُ واحداً من النوتيّةَ المؤجرين فى السفنْ
لكننى منذ صباى الباكر القديمْ
أنشد بين أمواج المحيط الهادر العظيمْ
حوريّةً تسكن فيه كل يومْ لجّةً ولا تقيمْ
تبحرُ بى الأشواق نحوها من المدى إلى المدى

تبحرُ بي الأشواق أبدا
لعلّها تُسْفر لى عن وجهها المتوّج المحفوفْ
بالضياء والندى
حين ترانى عاشقا مكابداً لا أعلن التسليمْ
وقد وهبت فى هواها العمر

وما رأيتها إلاَّ كلمح البرق أو أسرع فوق
زبد العبابْ
تبسم لي وتختفى بين بنات البحْرْ
ولن أمَرّ
حتى تبيح لى وصالها أو فلأكن شهيدَ
هذا السرّ

نقوشٌ على جدار قديم

(١)

سنه
بعد سنه
صديقتى الجرداء يا جميلة العِنين ننتظر
أن ينزل المطرْ
ولا أثرْ
لا كرمةً أورقت ولاسوسنهْ

(٢)

يا نجمتى البعيدة المنالْ
كلَّ مساء حين يهجع الكون وينشط الخيالْ
أجتاز نحوَك الجبال والتلال
لكى أقول كيف أنْتْ ؟؟
ولاتردّين
لكننى أعشق عطر أنفاسك فى السؤالْ

(٣)

بعد وداعنا الحزينْ
عقيمة بليدة الخطى تمضى إلى الأيامْ
لا تجزعى
فإنى برغم صمتى كلَّ هذه السنينْ
يملأنى الكلامْ
أحس أن الشوق لم ينم ولن ينامْ

(٤)

تعبرُ بى الذكرياتْ
نابضة بنارها الخالدة المؤتلقهْ
بين رماد أشباح الليالى الباردات
وكلما تومض أومض فى شعاعها
وتومضين
هنيهةً ثم تطير الفرحة المنبثقهْ

(٥)

يذبحنى اللياعْ
بينا تطلّ وحدها علىّ لحظة الوداعْ
خاطفة محمومة مسمومة كاذبة القناعْ
نحن كلانا قاتلان مقتولانْ
منذ خشينا نقمة الغيلانْ
منذ جبُنَّا أن نواجه الدنيا بحلمنا الشجاعْ
وكان ما قد كان !!

(٦)

غنوتنا الحبيبة المفضله
أتذكرينها ؟
خبَّأتها بالناى أحرفا ساكنةَ معطَّلهْ
وأمس كانت ليلتى خواه
وقمت نحو الناى أستعيدَ السر
أكتب هذا الشعر
وألمح المعجزة التى تحرّك الأشياءْ

(٧)

ألمح عودة المطر
إلى منابت الليمون والكروم والزهر
ألمح نشوة الحياة فى عيون عاشقيْن
تشابكا بالساعدين
تعاهدا لايُسْلمان الحب للقدر
ألمحنا .. غداً معًا
نبدأ من جديد مدَّنا الذى انْحَسَرْ

* * *

الدوار

انتصف النهارْ
والشمس لم تطلع .. نهارٌ غائم شتوى
خيّم فيه الصمت والضباب والغبارْ
أنهض فى تثاقل إلى نافذة الغرفهْ
أزيح عن زجاجها الستارْ
على مــدى الشـــارع ليس إلا عـــابرٌ على
الطوارْ
وكل شىء موحش ومنطفىء
أذكر زائرى الذى انتظرته ولم يجىء
ثم أعـاود الجلوس تحت الصـورة الفـضيّـة
الإطار
على الجدارْ
وأجذب الجريدة الملقاة فوق المنضده
تنبعث الخواطر المجهدَهْ
من العناوين الملونات والأخبار
والخطب المعادة العقيمة التكرارْ
أغوص فى الدوارْ

* * *

مازالت الثعالبْ
تنشب فى الكروم الناب والمخالبْ

والذئب يحرس البستانْ
والغافلون الطيبون يحلمون بالمطالب
القرش والحيتان
تقتسم البحر وتفزع الركبانْ
مازالت الثعالبْ
تنشب فى الكروم الناب والمخالبْ
والذئب يحرس البستانْ
بينا ينام الغافلون يحلمون بالمطالب
مازال ملك الزمان
يسلم بيت المال للرعاة والمرتزقة

* * *

الجنة المهجورة

" إلى ر . . . "

كانت لنا جنة بلا أشجارْ
سوى بقايا توتة عجوز ما لها أوراقْ
وما لها ثمارْ
لكنَّها جنَّتنا خلاصنا كنا نجيئها مع المساءْ
نطفىء فيها شوقنا ونشغل الأرجاءْ
صاحبتى الشقراء
كمْ كنْت حلوةً يوم كشفت لى عن آخر
الأسرارْ
يوم نطقت بحروف حبنا عاريةً بلا إزارْ
كيوم مولدك

* * *

حورية فرّتْ من السماءْ
أم نجمة رفَّافَةُ الضياءْ !
أم قطعةٌ من الشمس توهجت فى القامة البيضاء ؟
صهْ أيها الخيال واركع خاشعًا فى حضرة الجمالْ
أنْتَ هنا أمام بحر النور فاحْضُنْ قوة الشلالْ
صاحبتى يا حلوة الرحيقْ
أريد أن أشبع من عصير كرمك العقيقْ
فإننى حملت منذ آلاف السنين ظمأ الأجيالْ

أريد أن أصهر فى جذوتك الرمادَ
والصلصالْ
فأحْرقينى فى لهيبك المطهّر العريقْ
وخبئينى فى رموش عينيك الطوالْ
من قاطع الطريقْ

* * *

صاحبتى واختلط الواقع بالحلم والصحوة
بالسبات
وأصبح الكلام همهمات
وبعد ألف سنة أو أكثر لا أدقِّق الحسابْ
مرّتْ كلَيلة أو بعض ليْلَهْ
كان هناك قاطع الطريق الكاهن الكذابْ
يردّد التعاويذ ويطلق البخور عند البابْ
لكى يحيلنا بسحره الخبيث تمثالين طينيّيْنْ
موصوميْن باللعنة والعذابْ

* * *

صاحبتى الجميله
إن كان عصرنا الكاهن قد أراد أن يقتلنا غيلةَ
إن كان قد فرقنا مُشتّتُ الجماعاتْ
وهازم اللذات
فربما قُبَيْل أن يدب الموت فى أعماقنا نعودْ
ونبعثَ العمر الذى قد فاتْ
ذات ضحًى آتْ

الإبحار عشقا

ماذا أحال الشاطىء الطروبْ
شمسًا هزيلة وظلاًّ هاربًا مهرولاً
لاصوْتَ إلا تمتماتُ الريح للقواقع البلهاءْ
ولاشجيرةٌ سوى صبّارة قد شربت دموعها
ومَرّ موعد النورس ماجَاءْ
وذَهَبَتْ وأقبلَتْ مراكبُ ما حركَ الإقلاعَ والإرساءْ
غير أسى يطير بى صوب الرفاق معولاً
مات الذين ماتوا فى العواصف الهوجاءْ
وأسلم البعض شراعهم فى الهول للتيارْ
وبعثر الباقون حلمهم فى مدن البوارْ
هأنذا يا صحبة الأخطار وحدى أعبر المضيقْ
وكلما عذبنى التذكارْ
جعلْتُ خلفى البحر وانطلقت فى الميناءْ
أصْفُرُ لحنا عابث وأنثنى لحانة على الطريق
يسهر فيها الجاز والشراب والنّساءْ
تغمز لى صبية الماخور
تكشف لى الإزار عن نهدين أبلجين أملسين كالبلور
ومُشرعيْن يضْويان نوره
وأسهر فى أريج ريحها وهمسها المسحورْ
وعندما أنهض فى الليل الأخيرْ
تسلمنى ذراعها

وتستضيفنى للصبح فى مخدعها الصغيرْ
ترقص لِى عارية ثم تمدّ وردها وفلّها على الفراش
فى تكسّرٍ لذيذْ
تملأ لى سُرَّتها بالعطر والنبيذ
رفافة صريحةً غامضة كوجة عذراءْ
أغوص فى قرارها أوقظ كل اللؤلؤ النائم
فى محارها أفتح شاطىء الكنوز
وحين يدرج النهار نحونا بخطوه الحنونْ
يلمح نجمتين فوق صدرها ونجمتين فى خدودها
ونجمتين فى العيونْ
تقول لى عدنى بأن أراك فى المساءْ
ياقطتى الرقيقة البيضاء بحد أكونْ
أوغلْتُ بين زرقة الماء وزرقة السماءْ
سنلتقى - إن التقينا - صدفة بغير موعد كذلك اللقاء

* * *

شمس منتصف الليل

قد تكلمنا كثيراً
ولهثنا ما تخطيْنا تخوم الخوف كالمعتادْ
مازال على أوجهنا نفس القناعْ
ما تجرّأنا على ميراثنا الموصوم بالريبه
والجبن وأنواع الخداعْ
انطوت أمسية أخرى على الشيء المضاعْ
وقليلاً ثم تمضين وأمضى
تزأر الرغبة فى أعماقنا يزكو جنون الشوق
نشكو أرق الليل وإلحاح الصداعْ
هاهى الفرحة تنسلّ من الغرفة فى عجز وصمْتٍ
فانظر بها كيف تضوى كشعاعْ

* * *

بيننا شبرٌ من المقعد أم ألف من الأميال أمْ
دهرٌ من الغربة مجهول سحيقْ ؟!
ليتنا نشرب حتى لا نعى اسيمنا ولا نعقل شيئًا
ليتنا نسكر حتى لا نفيقْ
ليتنا نرجع أطفالاً صغاراً فوضويين فلا
تفزعنا الأسوار فى كل طريقْ !
هكذا كنْتُ وكانتْ فكراً محمومةً " تصرخ فى وجهى
وفى الوجه النبيذىِّ الرقيق

ثم تهوى فى كهوف اليأس والكتمانُ يطويها
ويطوينا معًا صمْتٌ عميقْ
شمعةٌ صامدةٌ كانت ترسٌّ الضوء فى
منتصف الليل وتذوى باحتراقْ
حين قمنا مثل طيرين أسيرين بلا حلم انعتاقْ
وسرتْ ريحٌ من الشرفة هزّتْ شعرها الناعم
هزات رقاق
ربما طاف بنا طيْفٌ من الحزن على العمر المراقْ
ربما كان تحدى الموت أن يلتصق اثنان
إذا ظُنَّ الفراقْ
ضحكت راعشةً قلت لها نحن غبيان كبيران
وغِبْنَا فى عناقْ

* * *

الشـهيد

علىِ الجدار فى حجرته التى
كنْتُ أزوره فيها قبيل غيبته
قميصه (الكاكىّ) بنطلونه رباط عنقه أزرار سترته
تقسّمتها بقعة غزيرة داكنة من دمه المنثور
تشى بعمق جرحه المميت وسط جبهتهْ
ولم أزل أراها فى مكانها ثم أجيل الطرف حولها بلا شعور
وعندما تجتاز عيناى الإطار الأسود المقفل نحو صورته
أفزع من تفجرّ الحياة ملء بسمته
أخجل تحت وقع نظرتهْ

* * *

حدّث عن فرحته
العاثر الوحيد من أفراد فرقته
يوم أتى بارليف للأبطال أثناء القتال
وصبية الكفور
عن زهوه بالنصر عن إقامة الجسورْ
وكيف قطعت رصاصة غادرةٌ طريق عودتهْ
وبات واقفًا محتصنًا عمود رايته

* * *

لم يتبلح رموشِ زوجته
حين أتاها نعيُهُ بين مصارع الآلاف مِمّن ناضلوا للنصر فى ساحته

الأميرة والراعى

كنجمة فَرَّتْ من السماء
أو كقطعة من الشمس توهجت فى وردة بيضاءْ
هلّتْ عليَّ الطلْعهُ الحلوةُ والقامة الفرعاءْ
أميرةٌ غادرت الخدر بلا وصيفات ولا إماءْ
لكى ترى حبيبها الراعى .. فى خفاءْ
خائفة كانت شجاعة كانتْ
علا احمرار الجمر فى خدودها صفاء الماءْ
واحدتى .. أنت إليَّ روحك الرقيقهْ
ومثل طفل راعش مبتهج تبهره الحقيقة
نهضت أستقبلها فى مدخل الحديقة
هاهى ذى تقبل فى الوعد ألمحها فى الناحية الأخرى فأسارع
كى آخذ يدها بيدىّ فى صمت
يرتعش الكفان قليلاً إذ يعتنقان
ثم أخذنا مجلس منزويًا
رُكْناً ومقعدين من تلك القاعة العتيقة

* * *

الطيار عادل

" بطل غائب من أكتوبر ١٩٧٣ "

ما إنْ يقبل أكتوبر
حتى يتعقبنى الوجه الأسمر فى خلواتى
يتعقبنى نبْرُ الصوت البسمةُ والإيماءْ
والعينان الساطعتانْ
فإذا بى وأنا أرشف كأس السهر الملآن
أستحضر ذكرى (الضابط طيّارْ عادلْ) ساكن نفس الشارع
الراحل فى الجو بلا عنوان

* * *

بعد النكسه فى (٦٧)
شاركنى عادل شارك كل المصريين
حس الأمل المهزوم وحس المأساه
أحيانا كان يعاتبنى
لما كُنتُ أذيب القلب أسىً ومعاناهْ
وأسوخ مع الأفكار إلى قاع الحسرة واليأس
كان يرى أنَّ الشمْسْ
أمنيةٌ لاريْبَ وأنَّ السحبَ السوداء
قد تمطر زرعا وثماراً وحياه

* * *

حتى كانت آخر مرَّةْ
جاء يودعنى تعكس بسمتُهُ الورديَّهْ
فى بزَّته الحربية قوس قزح
همسًا كلّمنى وبعينيه ومضُ فَرَحْ
أنَّ الموعد قد حانْ
أنَّ الغضب الساكن يوشك أن ينفجر الآنْ
كلمنى عن ليلِى ابنة عمّه
عطِر صباهْ
أوصانى خيرا بأبيه الشيخ وأمّه
ثم تعانقنا بيْنا فى فمه كلماتٌ عن مصر وعن غسل العار
وتقديم القربانْ

* * *

ومشى مبتعداً مثل الرمح المشدودْ
أذكر أنىّ لم أعرفه أحلى وجْها أو أصلب عوداً أو أقوى خطوا
وهو يدبُّ على أرض الليل الممدودْ
شهرا أو بعض الشهر ترقَّبت مُحَيَّاه فلم ألمحه إلاَّ بخيالٍ مكدودْ
عبر الأفق يسابقْ كالنسر طلائع ذاك اليوم المشهودْ
السادس من أكتوبرْ

* * *

يايوم الأشواق المتنفضَهْ
يايوم الآلاف من العشّاق المجهولين
ياراحة مَنْ ثكلوا الأمار وما عادلهم منهم

إلا بضعة آثار سُقيت بالدم
يافرحةً حتى الفتيات المنتظرات لفرسان الأحلام
رُحْن بقلب مقْدامْ
يستطلعن الأَسماء لدى قائمة القتلى أوقائمة
الأسرى أو قائمة المجروحينْ
نشدت ليلى اسم ابن العمّ فألقته من المفقودين
لم يعرف عنه أو عن طيارته خبر منذ مضى فى
طلعته الأولى بعد العشرينْ

* * *

عفوا يا عادل
ها قد مرَّ علينا أكتوبر بعد الآخر منذ نأيْتْ
فمتي ترجع من رحلتك وأين تناهيْتْ ؟
وإلى أى الأفلاك أو الجزر أويْتْ ؟
وعلى أىِّ الأمر نويْتْ ؟
هل تربض فى مكمنك السرىِّ لتنقضّ على
الأعداء الخونة حين يجىء الوقت ؟
أم عاقتْكَ صروف الأنواءْ ؟
أمْ ضقْتَ بما تحمله الصحف اليوميَّةُ من أنباءٍ فتأنيَّتْ
تتأمّلَ كيف تبدت الأشياء ؟!

* * *

هأ نذا
أتذكرك وقد عبرت سبع سنينْ

والساحةُ ملآى تصخب بجماهير المحتفلين
الأحياء الموتى يطفو منهم أفّاقو الزفّة وجموع
الطبالين الزمّارين الأغوات القوادين المـأبونين
وفلول الشعراء الرسمين وكتاب الصحف المشبوهة
المداحون الكذابون الأقزامْ
يحتالون على التاريخ ويقتسمون له هدايا ونياشين
الجرأة فى تزويق الأحداث وتزوير الأرقامْ
أتراك ستسمع حيث تكون صياح الخطباء وتصفيق
النظارة وبيانات جهابذة الإعلامْ
أم قد تأتى الليلة فجأة ؟!

* * *

عادل قد يأتى الليلة فجأه
قد يأتى وبصحبته آلاف الأنداد الغيّاب بلا خبر ممن ضحّوا مثله
هل لى أن أسألكم يا سادة إيقافَ ضجيج الحفلة
لأحدثكم عن شىء من حب ملأته الأحلام لمصر
وظل يجيش بصدر (الطيارْ عادلْ)
البطل الغائب من أكتوبر !!!

٦ أكتوبر ١٩٨٠

القهر

« أمس . اليوم . غدا . ما أضيق العالم »

(بودلير)

أتركه على موائد المقهى
يفحّ فحّهُ المعتاد فوق صفحة النرد
ينثر الرماد فوق أوجه الرفاق
يطفىء فيها جذوة الألفه
فيمضغون نفس ما قالوه بالأمس
ويضحكون نفس الضحك العصبى
ينزفون عمرهم مِزَقْ

* * *

ألقاه فى شوارع المدن التى تضبحّ
بالطوابير على أرصفة انتظار الحافلاتْ
قَدّام الدكاكين المخابز (البتيكاتْ)
مخافر الشرطة يملأ الحدق
أو يتخفى فى معاطف النساء والرجال فى
مساحيق الوجوه فى تشابه الأصواتْ
تحت الخوف والملق

* * *

أتركه ألقاه دائمًا أتركه ألقاه

الغجريّةْ

الصيف كان ذاك العام
يحرق خوص النخل
يجرد الأشجار من أوراقها وظلها الوريف
كأنما تَلَبَّسَتْهُ نزعةُ الخريف
إلاّ هناك فى مضارب الخيام
حيث لقيت الغجريّةْ
وقد مدَّتْ لى يومها ظليلة كشجره
تخطو حواليها الفُصُول لا تمسّ عودها
ولا تنال منها برعما أو ثمره

* * *

صبارتان

ياغصة الجمال ... عيناك مدتا لى
نهرا سبحتُ فيه ... بزورق الخيال
لعالم بسيط ... مرفرف الظلال
دانٍ بلا حدود ... نار بلا نوال
حرٍ بلا عبيد ... فيه ولا موالى
طيوره تغنى ... وترقص الدوالى
دخلته وحيدا ... مُفَزَّعًا طريدا
فعاد بى جديدا ... أفرح كالأطفال

***

ناجيْتُكَ الليالى ... بالناى والموّال
لم ينتبنى كلالٌ ... أوسور قصرٍ عالَ
حتى أتاك صوتى ... وهزّك ابتهالى
وأننى عليل ... أنوء باحتمالى
همستَ لى بلطف ... وزرت والدرب خالِ
وما إنْ احتوتنا ... هنيهة الوصال
إلاّ وهبَّ ناسُ ... وشمَّر الحرّاسُ
ودُقَّت الأجراسُ ... لذبحنا فى الحالِ

***

عـــينـاكَ كـــالتـــالى خلف حـــد الـنصـــال
كـــان المســـاء حلـوا أشــبـــه بـاحـــتـــفـــالَ
كنا فـــــراشـــــتين نـحـلـم بـالـكـمـــــال
بـنورنـا احــــتـــــرقنا عـــشـــقًـــا فـمـــا نـبـالى
وفـــــاضـت حنـانًـا ورقـــــــةً لحـــــالى
ثـم التـــقـت دمـــانـا فى أبـشع اغـــتـــيـــال
والآن فـــى ثـــوانِ تموت فـــرحـــتـــانِ
تـدْفن جـــشــتـــانِ تنـمـــو صـــبـــارتانِ

* * *

الأسوار

صديقتى .. موعدنا الثانى
منتظر على الطريق وقع خطونا
معذَّبٌ بصحتنا
يهمس باسمنا لوردة عذباء فكَّتْ كُمَّها
وحرّرتْ من الإسار عطرها
صارحها بحبه ندى الصباح وهو يلثم الخدودْ
ففتَّحتْ على حلاوة الحياة عينها
ورقصتْ عاريةً لكى تعيش عمرها بلا حدودْ
ونحن مسجونان فى انتظارنا
مرتجفان فى كهوف خوفنا من كان أو يكونْ
نرقص فى قيودنا
كطائرين مذبوحين سكنها العيون
فى الزمن العنيّن

* * *

أراه خلف عتمة الجدارْ
مطوقا بالحزن والوحدة وجهك الحانى
يحمل من لقائنا الأول مسحة انتصار
ومن غرامنا المستوحش العانى
يحمل لكل أم - ابنها الوحيد سنة البوار
أحلف أن أكون العاشق المغواره

أقتحم الحصار إمّا أن أجيء ركنك البعيد
مُجَرَّحًا تضمينني أو أن أموت واقفاً
وباسمًا أنطق كلمة الوداعْ
لأنني أكون قد زرعت الرفض والإصرار
علامة على دروب من يأتون بعدنا
فيسألون من دليل عند هذه الأسوار
ويكملون بعدنا
ويسعدون ظلنا

* * *

صديقتي موعدنا الثاني
ممدد على الطريق نازف نهر دمٍ قانِ
بكيْتُ فيه دمنا وشوقنا النبيلْ
لكنني عرفْتُ بعده أني طريد أن أرد السبيل
حتى أفي بحلفاني

* * *

لؤلؤة فى المحارةَ

« إلى ف .. القرينة بالروح »

الطائرُ الجنينُ رفَّ واسدارْ
ونقّرِ الجدارْ
كسرٍ قشرة السكون الجهم ثم طارْ
حلقً فوق أبويه بانبهارْ
كأنه يعرف كيف أنجباه ياعزيزتى
تحدّيًا للموت والإعصارْ

* * *

ياطفلنا الجميلْ
إنْ جعْتَ أوظمئت فاحْسُ من ودادنا
وإن تَنَمْ فرشُكَ فى فؤادنا
لاتبتعد فقد ليثنا قبل أن تجىء
مغتربْين فى بلادنا
حتى عرفنا الدار فى مفرقك الوضىء

* * *

الخوف ياطيبة القلب
يغصبُ رأس الدرْبِ يخنق ابتسامةَ الصباحْ
فالعصر عصر حرْبْ
يعبره الرجال والنساء الخوف كالأشباحْ
لكنّناَ تصوّرى والوقْتُ عاقرٌ وجوْبْ
فى لحظة ولَدْنا الحب !!

أرض الزمن الميّت

عند الصبح
أفطرنا فخذَ امرأة تتأوّد فى مشيتها النزقَهْ
ثم غرقنا فى النرد وفى الصمْتْ
ومع الظهر تجوّلنا بالأيمن فى صحف اليوم الملقاة على قُرْبْ
ورميناها بعد قليل لم نبسمْ أو نعبسْ
مازال البحر الهادر يقذف للرمل الأمْلَسْ
جثث الصيادين القتلى والجرحى
بينا تحتفل الحيتان بعيد الميلادْ
مطفئةً أعقاب التبغ بجمجمة لم يتوقّفْ دمُها بعْدْ
فى المغرب جرّبنا المذياعْ
فاجأنا صوْتٌ مشروخ يفتعل الوجْدْ
أغلقناه اسكت اسكت اسكتْ
وجَرَرْنا القَدَمَا
نحمل نعش اليوم الضائع فى أرض الزمن الميَتْ
ماذا فى أيدينا أن تكن الأيام عقيماتْ
إلاّ أن نزرعها ندما يحضرها ندمًا
نأكلها ندمًا ؟!

الفلاة

إنه ليس بضيق ولابمرض طارىء إنه أنا »

(سارتر)

لقدْ أنهكتنا رمالُ الفلاهْ
وضاق بنا ليل هذا المتاه
متى منتهاهْ .. متى منتهاهْ
فإنّا تعبنا
مشينا طويلاً وراء البريقْ
حفينا دمينا كأناً رقيقْ
وها نحن نسقط صرعى الطريقْ
فماذا أفدنْا
سوى زفرات تسود البقاعْ
وأنّا عراة وأنّا جياعْ
وريح تبدِّد جهد الصراعْ
وتسخرمنّا
لقد أنهكتنا رمال الفلاهْ
أما تستريح جموع المشاه ؟!
بحق الإله
أهذا الشرود يسمى الحياه
أنحن الحياه ؟

* * *

أخيٍ يا أخي ما أمرّ الشرود
أأنى مشينا نحسٌ القيودْ
قيود العذابْ
قيود الترابْ
وما نحن إلاَّ ضحايا السنينْ
تدوس على ضعفنا مرغمينْ
فنبكي ونبكي إلى أن نموتْ
ويطبق صمت الحمام الشفاه
فيفنى البكاء وتغنى الشكاه
وتبقى الحياة على سيرها
فلا تتئد
ونمضى نجرجر موتًا سوانا
ونصبح لاشيء فى عرفها
كأنْ لم نكن قبل من أهلها
فواضيعتاه لآمالنا !
وآلامنا !
أهذا الفناء طريق الدنا ؟
إذن فيم يارب جئناهنا
أخى مانريد وماذا أريدْ ؟
ونحن نسير إلى حتفنا
نُخلى الطريق لخلْقٍ جديدْ

* * *

تطلّ الحياه
تكرر صورتها الخالده
جموع العبيدْ
تحُركها شهوة واحده
من الطمع الآدمىّ العريقْ
وتهوى على حسرة واحدة
على أمل ميت فى الطريقْ
أخى لاتدعنى
أما حيّرتْكَ خفايا الوجودْ ؟
وضحك المهود وصمتُ اللحودْ ؟
ودنيا نمثل فيها الَشرورْ
ونحن الشهودْ
أجبنى فقد غاب عنّى الجوابْ
لماذا أتينْا وفيم نعودْ ؟
يقولون ذى حكمة للإلهْ
تفسر كل معانى الحياه
ويمضون فى قصة غامضة
عن البدء من غاية السائرينْ
ولكنها قصة غامضة
ولكنها قصة لاتبين
فأين المآل؟
أرانا نموت وما من مطال!!

***

سدى يا أخي
وباطلةٌ مصمصاتُ الشفاهْ
إذا خيَّمَتْ ظلماتُ العدم
وصِرْنا طعاما لدود الرمم
ترى سنثور ؟
ونرفض أم سيغيب الشعور ؟
أخي سنروح
ومأساتنا أننا قد أتينْنا
وسرْنا على الدرب حتى مللنا
وآخر ماسيقول المشاه .
لقد أنهكتنا رمال الفلاه
ويهوى المشاهْ

* * *

أغنية فدائى مصرى

أبى قد هتف الداعى وحان الوقت ياأمى
سَأ مضى الآن للميدان أرمى جبهة الظلم
فَضُمّانى بحبكما وقرّا إنْ أتى يومى
فسوف أكون عند الله محسوراً على غنمى قرير العين فى حلمى
أبى أفنى لتحيا مصر هذا العيشُ قد هانا
أقدّم عمرى الباقى ليوم النصر قربانا
بَلَونا الصبر أزمانًا فلا لن نصبر الآنا
وإنْ لم نحطم الأغلال فلنلحق بموتانا
لنأمن عار دنيانا
وقود المدفع المشبوب من نارى ومن جمرى
لظىً جّمعته عمرى لهذا اليوم فى صدرى
سأطلقه شواظا تحرق الأعداء فى ذعر
سأرميهم بأحقادى فوى البطش فى ثأرى
لأهدأ بعد فى قبرى
دمى يامصر مبذول وغالى المال والنفس
حملت الروح فوق الكف مجروحًا من الأمس
فإنْ أُصرع فقد طاوعت أيمانى على بأسى
وحسبى أننى أجعل من هذا الثرى رسمى
وأسلم له رأسى

أبى أمى دعا الداعى وتلك يدى مع الأيدى
أبى أمى وداعًا سوف أوفى الآن بالعهْدِ
ولا لاتجزعا أنى وأصحابى على وعْدِ
فإمَّا عودةٌ بالنصر بالآمال بالمجد
وأمّا فى ربى الخلد

* * *

الفهرس

الموضوع | صفحة

الطوفان والمدينة السمراء

الموضوع | صفحة

أغنية للحياة

الموضوع	صفحة

وداع الصبى ضاحك العينين

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٣٠٧٨ / ٢٠٠١

هذا طُوفان النَّار
يتدفَّق صوب مدينتنا بالويل
لا تقعدْ مهموماً معقود الكفَّين
لا ترفع رأسك نحو اللّه
وتعال معى نعمل شيئاً لمدينتنا
لن ننتظر الموت هنا
قبِّلْ زوجتك إلى موْعدْ
واترك أطفالك إن كانوا ناموا
ولتمض بنا
قد نرْجع قبل طُلُوع الصبُّح





